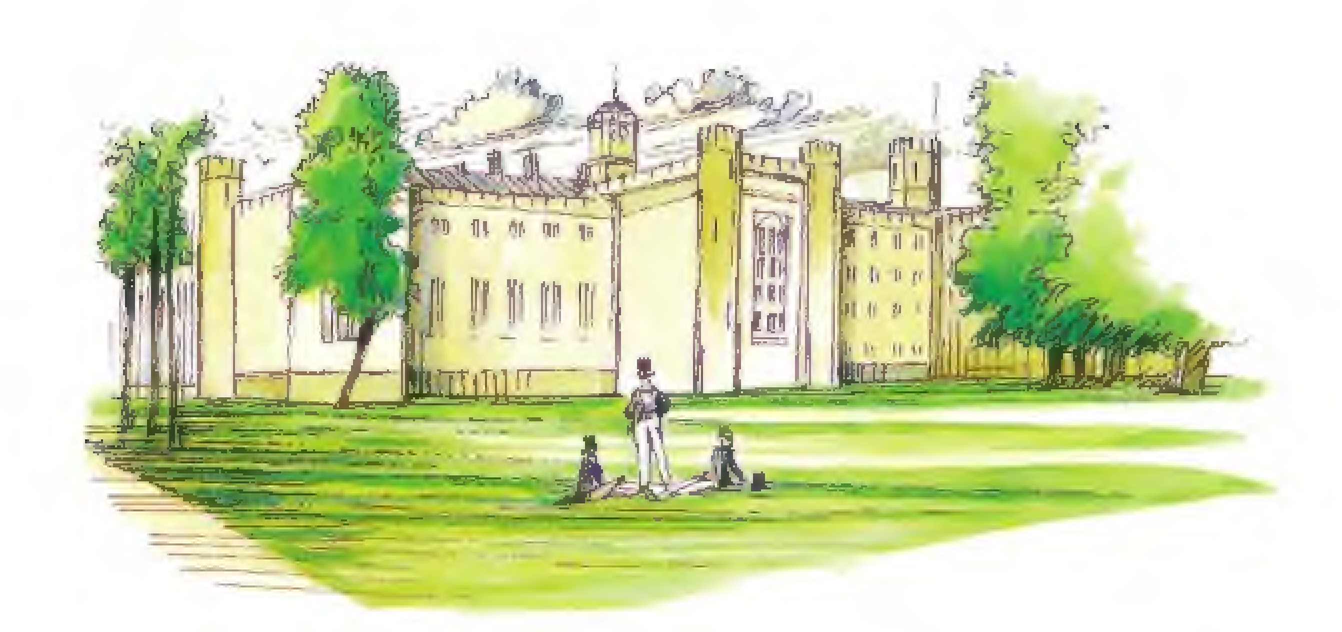
كتب الفراشة - القصص العالميّة

توم براون في المدرسة



كتب الفراشة - القِصص العالميّة

توم براوْن في المَدْرَسَة



تأليف : تومَاس هيُوز

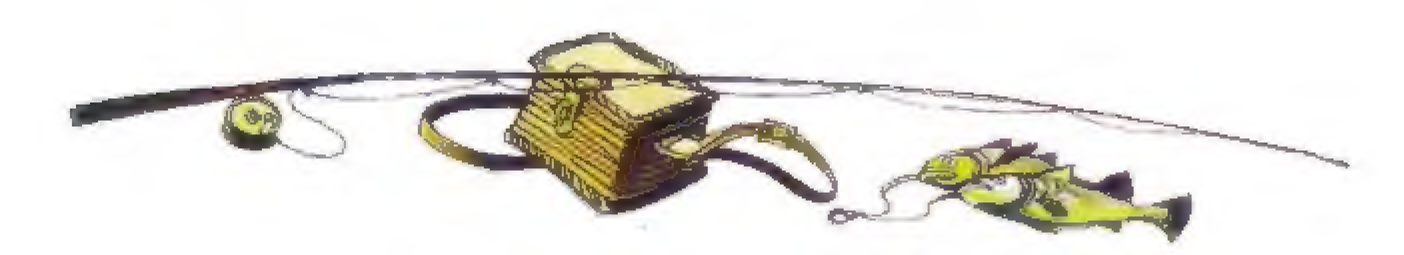
ترجَمَة : هَاني تابري



مَكتَبة لبْنان ناشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٦
رقم الكتاب 01 C 196831
طبع في لبنان



مقدّمة

رِوايَةُ «توم براوْن في المَدْرَسة» [Tom Brown's Schooldays] هِيَ أَشْبَهُ بِسيرَةٍ ذاتِيَّةٍ لِلمُؤَلِّفِ توماس هيُوز الّذي تَعَلَّمَ في مَدْرَسَةِ «رَغْبي» الشَّهيرَةِ، وهِيَ واحِدَةٌ مِنْ أَهَمِّ المَدارِسِ الدّاخِلِيَّةِ الخاصَّةِ الّتي كانَ الأَثْرِياءُ في إنجلْترا يُرْسِلونَ أَوْلادَهُمْ إلَيْها.

تُبْرِزُ الرِّوايَةُ الأَثَرَ الكَبيرَ الّذي تَرَكَهُ الدُّكْتورُ توماس أَرْنولْد مُديرُ المَدْرَسَةِ الشَّهيرُ، إذْ أَصْبَحَتْ مَدْرَسَةُ رَغْبي، في عَهْدِهِ (بَيْنَ ١٨٢٨و١٨٤٢)، مِثالًا يُحْتَذَى، فَساهَمَ ذَلِكَ في تَحْويلِ المَدارِسِ الدّاخِلِيَّةِ الخاصَّةِ، في ذَلِكَ العَهْدِ، مِنْ مُؤَسَّساتٍ ظالِمَةٍ قاسِيَةٍ إلى مَناراتٍ عِلْمِيَّةٍ راقِيَةٍ تُبَشِّرُ بِاللُّطْفِ والمَحَبَّةِ وتَنْشُرُ المَبادِئَ الأَخْلاقِيَّةَ السّامِيَةَ.

تَمْتازُ «توم براوْن في المَدْرَسَة» بِالحَيَوِيَّةِ والواقِعِيَّةِ، فَالقارِئُ يُرافِقُ توم براوْن ويُتابِعُ تَطَوُّرَهُ مِنْ وَلَدٍ شَقِيٍّ مُشاغِبٍ إلى شابٍّ

رَزينٍ راجِحِ العَقْلِ، ولَمّا أَصْبَحَ أَحَدَ «زُعَماءِ» المَدْرَسَةِ وَظَّفَ تَأَلُّقَهُ هَذا في نُصْرَةِ الحَقِّ والعَدالَةِ والذَّوْدِ عَنِ المَظْلومِ، فَجَسَّدَ أَهَمَّ المَبادِئِ الّتي نادَى بِها المُرَبّي الجَليلُ الدُّكْتورُ أَرْنولْد.

ومِنْ مَزايا هَذِهِ الرِّوايَةِ التَّفاعُلُ القائِمُ بَيْنَ شَخْصِيّاتِها المُتَنَوِّعَةِ، فَكُلُّ واحِدٍ مِنْ هَذِهِ الشَّخْصِيّاتِ كانَ لَهُ - بِإيجابِيّاتِهِ أَوْ سَلْبِيّاتِهِ - أَثَرُهُ العَميقُ عَلى الآخَرينَ. ومِنْ أَبْرَزِ هَؤُلاءِ: فلاشْمان المُتَنَمِّرُ الغاشِمُ، وآرْثر الشّابُّ الهادِئُ الوَديعُ، ومارْتن الذَّكِيُّ الغَريبُ الأَطْوارِ، وإيسْت الصَّديقُ الوَفِيُّ المِقْدامُ.

بِالإِضافَةِ إِلى ذَلِكَ يَعْكِسُ الكِتابُ صورَةً واقِعِيَّةً عَنْ حِقْبَةٍ مُهِمَّةٍ في تاريخِ التَّعْليمِ بِإِنجلْترا، ويَعْرِضُ نَظَرِيّاتٍ تَطْبيقِيَّةً ذاتَ شَأْنٍ في المَيْدانِ التَّرْبَوِيِّ.



توم براوْن في المَدْرَسَة

هَذِهِ القِصَّةُ سِجِلٌّ لِحَياةِ توم براوْن المَدْرَسِيَّةِ في الرُّبْعِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ، حينَ كانَ الأَثْرِياءُ في إنجلْترا يُرْسِلونَ أَبْناءَهُمْ إلى مَدارِسَ داخِلِيَّةٍ خاصَّةٍ. ومِنْ أَشْهَرِ تِلْكَ المَدارِسِ «مَدْرَسَةُ رَغْبي».

لَكِنْ مَنْ هُوَ توم براوْن؟ وأَيْنَ تَلَقّى تَعْليمَهُ قَبْلَ الوُصولِ إلى مَدْرَسَةِ رَغْبي؟

كانَ والِدُ توم مِنْ كِبارِ أَصْحابِ الأَراضي ومالِكًا لِمَزْرَعَةٍ كُبْرى في وادي «وايْت هورْس» في أَواسِطِ إنجلْترا. أَحَبَّ توم الرِّيفَ مُنْذُ صِغَرِهِ، وكانَ وَلَدًا صادِقًا مُسْتَقِلَّ الرَّأْيِ شُجاعًا إلى حَدِّ التَّهَوُّرِ، حَتّى إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَوانى عَنِ الدُّخولِ في مَعارِكَ عَنيفَةٍ مَعَ أَوْلادِ القَرْيَةِ. وقَدْ عَلَّمَهُ خادِمُ العائِلَةِ العَجوزُ بِنْجامِن رُكوبَ الخَيْلِ وصَيْدَ السَّمَكِ ومُراقَبَةَ الطَّبيعَةِ ومَعْرِفَةَ طُيورِها وحَيَواناتِها. وكانَتْ جُرْأَةُ توم وحَيَوِيَّتُهُ السَّبَبَ في إثارَةِ المَشاكِلِ لَهُ ولِغَيْرِهِ، كَما حَدَثَ في ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذي دَخَلَ فيهِ غُرْفَةَ الفَصْلِ، في مَدْرَسَةِ القَرْيَةِ، وهُوَ مُمْتَطٍ جَوادَهُ، فَكادَ الطُّلّابُ ومُعَلِّمَتُهُمْ يَطيرونَ فَزَعًا.



كانَ توم آنَذاكَ يَتَلَقّى تَعْليمَهُ عَلى يَدِ مُرَبِّيَتِهِ، وكانَ مُنْزَعِجًا لِاعْتِبارِهِ أَنَّ ذَلِكَ يَليقُ بِالأَطْفالِ الصِّغارِ، وكانَتِ المُرَبِّيَةُ المِسْكينَةُ تَذوقُ الأَمَرَّيْنِ مِنْ تَصَرُّفاتِهِ الصِّبْيانِيَّةِ.

كانَ أَوْلادُ القَرْيَةِ يُحِبّونَ المُصارَعَةَ، وكانَ توم يَتَحَدّى نَفْسَهُ فَيَخْتَبِرُ قُوَّتَهُ بِمُنازَلَةِ الأَوْلادِ الّذينَ يَكْبُرونَهُ سِنًّا. وقَدْ أَكْسَبَتْهُ المُمارَسَةُ قُدْرَةً عَلى التَّغَلُّبِ عَلى المُصارِعينَ المُنافِسينَ بِاسْتِثْناءِ هاري وِنْبُرْن. وسِرُّ هاري يَكْمُنُ في إِتْقانِهِ طَريقَةً خاصَّةً لِرَمْيِ الخَصْمِ يَلْجَأُ إِلَيْها عِنْدَما تَدْعو الحاجَةُ. وقَدْ كانَ المُصارِعانِ المُتَنافِسانِ هاري وتوم صَديقَيْنِ، وسَرْعانَ ما عَلَّمَ هاري صَديقَهُ سِرَّ هَذِهِ الطَّريقَةِ، وهَذا ما ساعَدَ توم فيما بَعْدُ خِلالَ أَيّامِهِ المَدْرَسِيَّةِ.



رَأى السَّيِّدُ براوْن أَنَّ ابْنَهُ توم أَصْبَحَ في حاجَةٍ إلى مُدَرِّسٍ قاسٍ وَخَبيرٍ لِمُتابَعَةِ تَحْصيلِهِ، فَأَرْسَلَهُ إلى مَدْرَسَةٍ صَغيرَةٍ يَمْلِكُها ويُدَرِّسُ فيها مُعَلِّمانِ مُحْتَرِفانِ. ويَبْدو أَنَّ هَذَيْنِ المُدَرِّسَيْنِ كانا قَدْ مَلّا التَّعْليمَ وآثَرا الرّاحَةَ على العَناءِ والكَدِّ، فَكانا لا يَتَشَدَّدانِ في تَلْقينِ الطُّلّابِ ولا في مُراقَبَةِ تَصَرُّفاتِهِمْ إِذْ تَرَكا مُهِمَّةَ تَأْديبِ الأَوْلادِ الصِّغارِ عَلى عاتِقِ رِفاقِهِمُ الكِبارِ. وقَدْ عانَى توم كَثيرًا مِمّا لَقِيَهُ في تِلْكَ المَدْرَسَةِ المُتَواضِعَةِ. وفي أَحَدِ الأَيّامِ قالَ عَنْهُ أَحَدُ الصِّبْيانِ الكِبارِ إِنَّهُ بَكّاءٌ كَالأَطْفالِ. لَمْ يَتَحَمَّلْ توم تِلْكَ الإهانَةَ فَانْقَضَّ عَلى الصَّبِيِّ ولَكَمَهُ عَلى أَنْفِهِ وسَبَّبَ لَهُ نَزيفًا. سَرْعانَ ما اشْتَكى الصَّبِيُّ غَريمَهُ إلى المُعَلِّمِ لِينالَ جَزاءَهُ، لَكِنَّ توم نَجا مِنْ عِقابِ الضَّرْبِ لأَنَّ تِلْكَ كانَتْ مُخالَفَتَهُ الأُولى.



لَمْ يَسْتَفِدْ توم شَيْئًا مِنْ تِلْكَ المَدْرَسَةِ غَيْرَ الاعْتِمادِ عَلى نَفْسِهِ في الدِّفاعِ عَنْ حَقِّهِ، لَكِنَّهُ لم يَمْكُثْ فيها طَوِيلًا.

في شَهْرِ أكتوبر مِنْ سَنَتِهِ الثّانِيَةِ هُناكَ تَفَشَّتِ الحُمَّى بَيْنَ أَوْلادِ المَدْرَسَةِ فَأُرْسِلَ كُلُّ الطُّلّابِ إلى بُيوتِهِمْ، وهَذا ما أَتاحَ لِتوم فُرْصَةَ تَحْقيقِ ما كانَ يَصْبو إِلَيْهِ، وهُوَ الانْتِقالُ إلى مَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ خاصَّةٍ، إِذْ قامَ والِدُهُ بِتَسْجيلِهِ في «مَدْرَسَةِ رَغْبي» الشَّهيرَةِ.

في شَهْرِ نوفمبر اصْطَحَبَهُ والِدُهُ إلى لَنْدن حَيْثُ تَنْطَلِقُ العَرَباتُ المُتَوَجِّهَةُ إلى بَلْدَةِ رَغْبي. نَزَلا في أَحَدِ الفَنادِقِ في ضاحِيَةِ إزلِنجْتون شَماليَّ لَنْدن. تَناوَلَ توم عَشاءَهُ وذَهَبَ إلى فِراشِهِ لِيَنامَ باكِرًا لأَنَّ العَرَبَةَ تَنْطَلِقُ في الثّالِثَةِ فَجْرًا. وقَدْ شَعَرَ السَّيِّدُ براوْن أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقولَ شَيْئًا لابْنِهِ عَشِيَّةَ سَفَرِهِ، فَخاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: «اِسْمَعْ يا بُنَيَّ. إِنَّكَ سَتَنْتَقِلُ مِنَ البَيْتِ لِلعَيْشِ في مَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ. ومَعَ أَنَّكَ مُتَشَوِّقٌ لِذَلِكَ فَأَنْتَ ما زِلْتَ صَغيرَ السِّنِّ وعَلَيْكَ الانْتِباهَ. سَتَرى أَشْياءَ غَريبَةً وتَسْمَعُ أَقوالًا نابِيَةً. كُنْ شُجاعًا ولا تَخَفْ مِنْ قَوْلِ الحَقيقَةِ.. لا تَتَفَوَّهْ بِكَلامٍ بَذيءٍ ولا تَأْتِ عَمَلًا تَخْجَلُ مِنْهُ أَمامَ أُمِّكَ. إذا نَفَّذْتَ ذَلِكَ يا توم فَسَتَعودُ إلى بَيْتِكَ مَرْفوعَ الرَّأْسِ.»

لَمْ تَنْقَضِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ بِسُرْعَةٍ لأَنَّ توم كانَ قَلِقًا ومُتَرَقِّبًا فَما نامَ عَميقًا. وقَبْلَ الفَجْرِ، كانَ قَدْ لَبِسَ ثِيابَهُ وحَزَمَ أَمْتِعَتَهُ وتَناوَلَ فَطورَهُ، فَما إِنْ سَمِعَ صَوْتَ سائِسِ الخَيْلِ يُنادي المُسافِرينَ لِلتَّجَمُّعِ في السّاحَةِ حَتّى هَبَّ إلى الخارِجِ وهُوَ عَلى أَتَمِّ اسْتِعْدادٍ.

لَمّا وَقَفَ توم ووالِدُهُ قُرْبَ العَرَبَةِ خاطَبَ السَّيِّدُ براوْن ابْنَهُ قائِلًا: «رافَقَتْكَ السَّلامَةُ يا بُنَيَّ. لا تَنْسَ أَنّي لَمْ أُرْسِلْكَ إلى مَدْرَسَةِ رَغْبي لِتَتَعَلَّمَ اللُّغاتِ والعُلومَ



فَقَطْ، فَبِالإِضافَةِ إِلى ذَلِكَ أُريدُكَ أَنْ تَنْمُوَ وتُصْبِحَ شابًّا شُجاعًا صادِقًا لَطيفًا، أَيْ سَيِّدًا مُحْتَرَمًا بِكُلِّ ما في هَذِهِ العِبارَةِ مِنْ مَعْنًى. أَتَفْهَمُني يا توم؟» أجابَ توم، وهُوَ يَحْبِسُ دَمْعَةً صامِتَةً: «أَجَلْ يا أَبي. إلى اللِّقاءِ». فَقالَ الوالِدُ: «إِلى اللِّقاءِ يا توم.. في رِعايَةِ اللهِ.»



رَكِبَ توم العَرَبَةَ مُلْتَفًّا بِسُتْرَتِهِ السَّميكَةِ لِيَتَّقِيَ لَسْعَةَ الهَواءِ البارِدِ. بَعْدَ لَحَظاتٍ نَفَخَ الحارِسُ البُوقَ فَتَحَرَّكَتِ العَرَبَةُ على صَوْتِ وَقْعِ الحَوافِرِ وجَلْجَلَةِ الأَجْراسِ، وانْطَلَقَتْ خارِجَ فِناءِ الفُنْدُقِ.

كانَتْ مَحطّاتُ التَّوَقُّفِ مُتَعَدِّدَةً إذْ تَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ عِنْدَ بَعْضِ الفَنادِقِ الواقِعَةِ قُرْبَ الطَّريقِ. وفي كُلِّ فُنْدُقٍ كانَ يَنْضَمُّ إلى المُسافِرينَ المَزيدُ مِنَ الرُّكّابِ أَوْ يُغادِرُ بَعْضُهُمْ، ويَتِمُّ أَحْيانًا تَبْديلُ الجِيادِ المُتْعَبَةِ. وفي مُنْتَصَفِ الطَّريقِ كانَ الوُقوفُ لِمُدَّةٍ أَطْوَلَ فَأُتيحَ لِلمُسافِرينَ شُرْبُ الشّايِ وَتناوُلُ الطَّعامِ. أُكْمِلَتِ الرِّحْلَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى بَلْدَةِ رَغْبي.

أَخَذَتِ العَرَبَةُ تَخْتَرِقُ شَوارِعَ البَلْدَةِ، ثُمَّ مَرَّتْ قُرْبَ المَدْرَسَةِ حَيْثُ خَرَجَ بَعْضُ الأَوْلادِ يُراقِبونَ مُرورَها، وتَوَقَّفَتْ أَمامَ فُنْدُقٍ قَريبٍ.

كانَ توم يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ والبَرْدِ، وقَدْ تَرَجَّلَ مِنَ العَرَبَةِ وجَمَعَ أَغْراضَهُ وأَخَذَ يَنْظُرُ حَوالَيْهِ. سَرْعانَ ما دَنا مِنْهُ وَلَدٌ وسَأَلَهُ: «قُلْ لي: هَلْ أَنْتَ براوْن؟» اِسْتَغْرَبَ توم أَنْ يَكونَ هُناكَ مَنْ يَعْرِفُهُ في تِلْكَ البَلْدَةِ الغَريبَةِ، وأَجابَ: «أَجَلْ. ومَنْ أَنْتَ؟» فَقالَ



الصَّبِيُّ: «أَنا اسْمي إيسْت. إِنَّ والِدَكَ يَعْرِفُ عَمَّتي العَجوزَ وقَدْ أَخْبَرَتْني أَنَّكَ آتٍ إِلى مَدْرَسَةِ رَغْبي.»

نَظَرَ توم إِلى رَفيقِهِ الجَديدِ، فَرَأَى أَنَّهُ يُماثِلُهُ طولًا، ويَبْدو رابِطَ الجَأْشِ واثِقًا مِنْ نَفْسِهِ بِخِلافِ الأَوْلادِ الَّذينَ عَرَفَهُمْ في القَرْيَةِ.

فيما كانا يَسيرانِ نَحْوَ المَدْرَسَةِ نَظَرَ إيسْت إِلى توم وقالَ لَهُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ

الطَّاقِيَةَ الّتي تَلْبَسُها لَيْسَتْ مُناسِبَةً. أَلَيْسَ لَدَيْكَ قُبَّعَةٌ لائِقَةٌ؟» ولَمْ يَنْتَظِرْ جَوابًا بَلْ قادَهُ إلى مَحَلِّ نِكْسون لِلقُبّعاتِ حَيْثُ اشْتَرى توم قُبَّعَةً جَميلَةً.

قالَ إيسْت: «إنَّ الانْطِباعَ الأَوَّلَ الّذي يَتْرُكُهُ القادِمُ الجَديدُ مُهِمٌّ. ومِنَ الضَّرورِيِّ أَلّا يَكونَ في شَكْلِكَ وثِيابِكَ شَيْءٌ غَريبٌ. ثُمَّ انْتَبِهْ! عِنْدَما تَتَكَلَّمُ. كُنْ جَرِيئًا وصَريحًا ولا تَتَحَذْلَقْ أَوْ تَتَمَلَّقْ.»

أَحَبَّ توم في إيسْت طِيبَتَهُ وصَراحَتَهُ، لِذَلِكَ رَحَّبَ بِصَداقَتِهِ الّتي مَكَّنَتْهُ مِنْ أَنْ يَخْطُوَ خَطَواتِهِ الأُولى في مَدْرَسَةِ رَغْبي بِثَباتٍ وثِقَةٍ.

كانَ الطُّلّابُ في رَغْبي – كما في كُلِّ المَدارِسِ الدّاخِلِيَّةِ الخاصَّةِ – يُقَسَّمونَ إلى مَجْموعاتٍ أَوْ فِرَقٍ تَضُمُّ كُلٌّ مِنْها أَرْبَعينَ أَوْ خَمْسينَ طالِبًا يُقيمونَ في وَحْدَةٍ سَكَنِيَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنِ الأَقْسامِ الأُخْرى. أَمّا بِالنِّسْبَةِ لِلدِّراسَةِ فَإِنَّ كُلَّ صَفٍّ يَضُمُّ طُلّابًا مِنْ مُخْتَلِفِ الأَقْسامِ.

وَصَلَ توم مَعَ إيسْت إلى المَبْنى الخاصِّ بِالقِسْمِ الّذي يَنْتَمِيانِ إِلَيْهِ المُسَمّى «سكول هاوْس». عَبَرا القاعَةَ الكُبْرى، ثُمَّ اجْتازا مَمَرًّا مُعْتِمًا وُصولًا إلى غُرْفَةِ الدِّراسَةِ المُخَصَّصَةِ لإيسْت. لَمْ يَكُنْ لِلغُرْفَةِ سِوى نافِذَةٍ واحِدَةٍ لَها قُضْبانٌ حَديدِيَّةٌ، وكانَتْ تُزَيِّنُ جُدْرانَها بِضْعُ صُوَرٍ مُعَلَّقَةٍ. أَمّا أَثاثُها فَمُؤَلَّفٌ مِنْ طاوِلَةٍ وكُرْسِيٍّ وأَريكَةٍ. وكانَ في الغُرْفَةِ أَيْضًا رَفّانِ عَلَيْهِما بِضْعَةُ كُتُبٍ ودُولابانِ صَغيرانِ يَحْوِيانِ مُعْظَمَ مُقْتَنَياتِ إيسْت، وهِيَ: عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ الأَكْوابِ وبَعْضُ أَنْواعِ المَأْكولاتِ وقَصَباتٌ لِصَيْدِ السَّمَكِ وكُرَةٌ. كانَتْ مِثْلُ هَذِهِ الغُرَفِ تَضُمُّ طالِبَيْنِ، وقَدْ قيلَ لِتوم بِأَنَّ غُرْفَتَهُ سَتُخَصَّصُ لَهُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ.

تَوَجَّهَ توم، بَعْدَ ذَلِكَ، لِتَناوُلِ الغَداءِ، ثُمَّ أَخَذَهُ إيسْت لِرُؤْيَةِ مَلْعَبِ المَدْرَسَةِ وكَنيسَتِها، ودَلَّهُ على ساحَةٍ وَراءَها خَصَّصَها الطُّلّابُ لإِقامَةِ المَعارِكِ الكُبْرى بَيْنَهُمْ.

بَعْدَ الظُّهْرِ، تَجَمَّعَ كُلُّ الطُّلّابِ في المَلْعَبِ الرِّياضِيِّ حَيْثُ كانَتْ سَتُقامُ مُباراةٌ



في كُرَةِ القَدَمِ بَيْنَ فَريقِ «سكول هاوْس» وفَريقٍ مِنْ بَقِيَّةِ الأَقْسامِ. كانَ إيسْت أَحَدَ أَفْرادِ فَريقِ سكول هاوْس، وقَدْ نَزَلَ المَلْعَبَ، هُوَ ورِفاقُهُ، لابِسًا الزِّيَّ الأَبْيَضَ.

أَخَذَ توم يُراقِبُ ما يَجْري بِسُرورٍ وشَغَفٍ، وقَدْ هالَهُ ذَلِكَ الحَشْدُ الكَبيرُ. حَبَسَ أَنْفاسَهُ عِنْدَما وَقَفَ أَفْرادُ الفَريقَيْنِ في أَماكِنِهِمْ وأُطْلِقَتْ صَفّارَةُ البِدايَةِ.

اِزْدادَ ذُهولُ توم عِنْدَما عَلِمَ أَنَّ المُشاهِدينَ أَيْضًا يُمْكِنُهُمُ الاشْتِراكُ في المُباراةِ. فَالأَوْلادُ الّذينَ يَقِفونَ وَراءَ خَطِّ المَرْمى، مِنْ جِهَةِ فَريقِهِمْ، كانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْعَوْا لِلَمْسِ الكُرَةِ عِنْدَ تَجاوُزِها الخَطَّ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْها أَحَدُ أَفْرادِ الفَريقِ الخَصْمِ، وبِذَلِكَ يَمْنَعونَ تَسْجيلَ هَدَفٍ في مَرْماهُمْ. كانَ وَراءَ خَطِّ المَرْمى، مِنْ كُلِّ جِهَةٍ،



حوالَي مِائَةٍ وخَمْسينَ طالِبًا، وحَتّى الدُّكْتورُ أَرْنولْد نَفْسُهُ وَقَفَ بَيْنَ الطُّلّابِ يُتابِعُ المُباراةَ بِحَماسٍ.

أُعْجِبَ توم بِجُرْأَةِ بَعْضِ اللّاعِبينَ وانْدِفاعِهِمْ وأَكْبَرَ (عَظَّمَ) فيهِمْ إِقْدامَهُمْ عَلى الدُّخولِ بِأَنْفُسِهِمْ في مُواجَهاتٍ عَنيفَةٍ لِلاحْتِفاظِ بِالكُرَةِ، ولاحَظَ أَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ يَزْهو بِنَفْسِهِ ويَتَظاهَرُ بِالشَّجاعَةِ ويُكْثِرُ مِنَ الصِّياحِ لَكِنَّهُ يُبْعِدُ نَفْسَهُ عَنْ مَواقِعِ المُجابَهَةِ الخَطِرَةِ مِثْلَ فلاشْمان مَعَ أَنَّهُ في السّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ وصاحِبُ جَسَدٍ ضَخْمٍ.

قَبْلَ انْتِهاءِ المُباراةِ بِقَليلٍ، وكانَ فَريقُ سكول هاوْس مُتَقَدِّمًا، انْدَفَعَ سِتَّةٌ مِنْ مُهاجِمي الفَريقِ الآخَرِ وقَذَفَ أَحَدُهُمُ الكُرَةَ بِرِجْلِهِ فَوْقَ خَطِّ المَرْمى الخاصِّ بِفَريقِ



سكول هاوْس. كانَ توم واقِفًا وَراءَ إحْدى قائِمَتَيِ المَرْمى وأحَسَّ أنَّ مُهِمَّةَ إنْقاذِ فَريقِهِ مِنْ هَدَفٍ تَقَعُ على عاتِقِهِ، ومِنْ ثَمَّ عَلَيْهِ أنْ يَصِلَ إلى الكُرَةِ قَبْلَ وُصولِ المُهاجِمينَ.

اِنْدَفَعَ توم ورَمى نَفْسَهُ عَلى الكُرَةِ بَيْنَ أقْدامِ المُهاجِمينَ المُتَقَدِّمينَ، فَأمْسَكَ بِها وتَعَثَّرَ المُهاجِمونَ الخائِبونَ وارْتَمَوْا فَوْقَ جَسَدِهِ المُنْبَطِحِ أرْضًا. أُطْلِقَتْ عِنْدَها صَفّارَةُ النِّهايَةِ ورَبِحَ فَريق سكول هاوْس المُباراةَ، فيما كانَ توم المِسْكينُ يُحاوِلُ الْتِقاطَ أنْفاسِهِ ويَتَفَقَّدُ أماكِنَ الكَدَماتِ والجِراحِ الّتي أُصيبَ بِها.

وقَدْ هُرِعَ إلَيْهِ الجَميعُ وعَلى رَأْسِهِمْ رَئيسُ الفَريقِ «الكابْتِن بروك الكَبيرُ» الّذي هَتَفَ: «لَقَدْ أبْلَيْتَ بَلاءً حَسَنًا أيُّها الشّابُّ الصَّغيرُ. سَوْفَ تُصْبِحُ لاعِبًا مُمْتازًا!»

ذَهَبَ توم وإيسْت، بَعْدَ المُباراةِ، إلى البَلْدَةِ واشْتَرَيا شَيْئًا مِنَ الحَلْوى. ولَمّا عادا إلى المَدْرَسَةِ كانَ جَميعُ طُلّابِ «سكول هاوْس» يَعيشونَ جَوَّ الانْتِصارِ ويُشيدونَ بِشَجاعَةِ هَذا الوافِدِ الجَديدِ توم وفَضْلِهِ في إحْرازِ فَريقِهِمُ النَّصْرَ. بَعْدَ العَشاءِ ارْتَفَعَ صَوْتُ الطُّلّابِ في القاعَةِ في أغانٍ وأناشيدَ، وكانَ مِنَ التَّقاليدِ الرّاسِخَةِ في المَدْرَسَةِ أنْ يَقومَ الطّالِبُ الجَديدُ بإنْشادِ أُغْنِيَةٍ، وإذا رَفَضَ ذَلِكَ فُرِضَ عَلَيْهِ شُرْبُ كوبٍ مِنَ الماءِ المالِحِ. اِخْتارَ توم الغِناءَ فَأسْمَعَهُمْ أُغْنِيَةً ريفِيَّةً يَعْرِفُها، نالَ عَلَيْها تَصْفيقًا حارًّا. ثُمَّ أكْمَلوا جَميعًا غِناءَ كَثيرٍ مِنَ الأغاني الشَّعْبِيَّةِ.

وَقَفَ رَئيس الفَريقِ الكابْتِن بروك الكَبيرُ لِيُخاطِبَ رِفاقَهُ الطُّلّابَ، فَسادَ الهُدوءُ القاعَةَ فيما راحَ بروك يَتَكَلَّمُ: «تَعْلَمونَ أنّني في مَدْرَسَةِ رَغْبي مُنْذُ ثَماني سَنَواتٍ، وهَذا هُوَ الفَصْلُ الدِّراسِيُّ الأخيرُ الّذي أُمْضيهِ مَعَكُمْ، وسَأُغادِرُ المَدْرَسَةَ بَعْدَ حَوالَي شَهْرَيْنِ.. إنَّ الانْتِصارَ الّذي حَقَّقْناهُ اليَوْمَ مَصْدَرُ اعْتِزازٍ كَبيرٍ، لَكِنْ هَلْ تَعْلَمونَ سَبَبَ فَوْزِنا؟»

أَجابَ بَعْضُ الطُّلّابِ: «أَجَلْ. إنَّ طَريقَةَ لَعِبِكَ وقِيادَتِكَ لِلفَريقِ أتاحَتْ لَنا مَجالَ الفَوْزِ!»





أَجابَ بروك الكَبيرُ: «كَلّا، فَالفَضْلُ لا يَعودُ لي. إنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْكُمْ ساهَمَ في نَجاحِنا.. لَقَدْ أَثْبَتْنا اليَوْمَ أَنّنا - بِالفِعْلِ - فَريقٌ واحِدٌ، وكُنّا جَميعًا بَعيدينَ عَنِ الأَنانِيَّةِ وقَدَّمَ كُلٌّ مِنّا خَيْرَ المَجْموعَةِ عَلى مَصْلَحَتِهِ الفَرْدِيَّةِ، وهَذا هُوَ سِرُّ نَجاحِنا: وَحْدَةُ الهَدَفِ والعَمَلُ الدَّؤوبُ مِنْ أَجْلِ تَقَدُّمِ مَجْموعَتِنا. لَكِنْ ما زالَ عَلَيْنا الكَثيرُ لِنَقومَ بِهِ نَحْنُ أَفْرادَ سكول هاوْس.»

هَتَفَ بَعْضُ الطُّلّابِ قائِلينَ: «نَحْنُ نُؤَيِّدُكَ يا بروك، أَخْبِرْنا ما هُوَ المَطْلوبُ مِنّا؟»

تابَعَ بروك حَديثَهُ: «عَلَيْنا أَنْ نَنْبُذَ العُنْفَ ونَبْتَعِدَ عَنْ ظُلْمِ مَنْ هُمْ أَضْعَفُ مِنّا، ويَجِبُ أَنْ نَتَّحِدَ ونَتَعاوَنَ في سَبيلِ نُصْرَةِ الحَقِّ. إذا حَقَّقْنا هَذِهِ الأُمورَ فَسَيُصْبِحُ قِسْمُ سكول هاوْس رَأْسَ المَدْرَسَةِ وقُدْوَتَها. وهُناكَ...»



قاطَعَهُ جَميعُ الطُّلّابِ بِالتَّصْفيقِ اسْتِحْسانًا لِكَلامِهِ. ثُمَّ أَرْدَفَ قائِلًا: «هُناكَ شَيْءٌ آخَرُ: إِنَّ بَعْضَ الطُّلّابِ لا يُرَحِّبونَ بِالتَّغْييراتِ الّتي أَدْخَلَها مُديرُنا الدُّكْتورُ أَرْنولْد مُنْذُ تَوَلّيهِ المَسْؤولِيَّةَ. صَحيحٌ أَنَّها تَطالُ بَعْضَ التَّقاليدِ والعاداتِ الرّاسِخَةِ في مَدْرَسَتِنا، لَكِنَّها تَقاليدُ فاسِدَةٌ يَجِبُ تَبْديلُها. كونوا مُنْصِفينَ في مَواقِفِكُمْ واحْكُموا عَلى الأُمورِ بِنَتائِجِها، وتَذَكَّروا أَنَّ كُلَّ ما يَقومُ بِهِ الدُّكْتورُ أَرْنولْد هُوَ لِمَصْلَحَةِ المَدْرَسَةِ ولِخَيْرِكُمْ جَميعًا. والآنَ فَلْنَهْتِفْ كُلُّنا داعينَ لِخَيْرِ مَدْرَسَتِنا وتَفَوُّقِ سكول هاوْس.»

بَعْدَ أَنْ هَتَفَ الجَميعُ دَقَّتِ السّاعَةُ وكانَتِ العاشِرَةَ إِلّا رُبْعًا، وهُوَ مَوْعِدُ الصَّلاةِ، فَرُتِّبَتِ القاعَةُ بِسُرْعَةٍ.

خَيَّمَ السُّكونُ والصَّمْتُ حينَ دَخَلَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد الّذي وَقَفَ في صَدْرِ القاعَةِ

ثُمَّ قَرَأَ مَقاطِعَ مِنَ الكِتابِ المُقَدَّسِ وتَلا الصَّلاةَ.

فيما كانَ توم يَصْعَدُ إلى قاعَةِ النَّوْمِ سَأَلَهُ إيسْت: «هَلْ سَبَقَ أَنْ وُضِعْتَ في بَطّانِيَّةٍ وقُذِفْتَ في الهَواءِ؟»

– كَلّا، لَمْ أُجَرِّبْ هَذا الأَمْرَ. هَلْ هُوَ مُؤْذٍ؟

– إذا لَمْ تَقَعْ عَلى الأَرْضِ فَأَنْتَ بِأَمانٍ! إنَّ بَعْضَ الأَوْلادِ الصِّغارِ يَخافونَ هَذِهِ العَمَلِيَّةَ فَيَخْتَبِئونَ حَتّى لا يُجْبِرَهُمُ الكِبارُ عَلى الاشْتِراكِ.

– أَنا لَسْتُ جَبانًا ولَنْ أَخْتَبِئَ.

وَصَلا إلى القاعَةِ، وكانَ فيها اثْنا عَشَرَ سَريرًا، وقَدْ تَوارَى جَميعُ الأَوْلادِ عَنِ الأَنْظارِ بِاسْتِثْناءِ توم وإيسْت. ثُمَّ سُمِعَتْ هَمْهَمَةٌ بِالبابِ وانْدَفَعَ، إلى الدّاخِلِ، أَرْبَعَةُ فِتْيانٍ يَتَقَدَّمُهُمُ المُشاكِسُ فلاشْمان وهُوَ يَقولُ لِرِفاقِهِ: «اِسْحَبوا الفِئْرانَ الجُبَناءَ مِنْ مَخابِئِهِمْ.» لَكِنَّهُ لَمّا رَأَى توم صاحَ: «يَبْدو أَنَّ هَذا الوَلَدَ الجَديدَ لا يَخافُ. ما اسْمُكَ يا صَبِيُّ؟»

فَأَجابَهُ توم مِنْ دونِ تَرَدُّدٍ: «توم براوْن.» قالَ فلاشْمان: «حَسَنًا أَيُّها الجَسورُ، سَنَأْخُذُكَ أَنْتَ وإيسْت.»

اِقْتيدَ الصَّديقانِ إلى قاعَةٍ أُخْرى واسِعَةٍ، فَتَنَفَّسَ بَقِيَّةُ الأَوْلادِ الصُّعَداءَ لِخَلاصِهِمْ مِنْ تِلْكَ المِحْنَةِ واعْتَبَروا توم وإيسْت بَطَلَيْنِ مِقْدامَيْنِ ضَحَّيا بِنَفْسَيْهِما لِخَلاصِهِمْ.

اِبْتَدَأَتِ العَمَلِيَّةُ في القاعَةِ الكُبْرى، فَحَمَلَ اثْنا عَشَرَ فَتًى بَطّانِيَّةً كَبيرَةً وأَمْسَكوها مَفْتوحَةً وأَجْلَسوا إيسْت عَلَيْها. ثُمَّ أَخَذوا يَشُدّونَها ويَنْفُضونَها فَصارَ إيسْت يَطيرُ في الهَواءِ نَحْوَ السَّقْفِ ويَنْزِلُ عَلى البَطّانِيَّةِ، ثُمَّ يَطيرُ ثانِيَةً وهَكَذا... ولأَنَّ إيسْت لَيْسَ جَديدًا عَلى هَذا العَمَلِ فَإِنَّهُ كانَ يَحْمي رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ عِنْدَ الاقْتِرابِ مِنَ السَّقْفِ.



جاءَ دَوْرُ توم، فَجَلَسَ عَلى البَطّانِيَّةِ ساكِنًا كَما نَصَحَهُ إيسْت. ثُمَّ صاحَ الكِبارُ مَعًا: «واحِدٌ.. اِثنانِ.. ثَلاثَةٌ»، وارْتَفَعَ توم عالِيًا حَتّى اصْطَدَمَتْ رُكْبَتاهُ بِالسَّقْفِ، وأَحَسَّ أَنَّ قَلْبَهُ يَكادُ يَقْفِزُ مِنْ مَكانِهِ وهُوَ يَنْزِلُ، فَأَرادَ أَنْ يَصْرُخَ بِهِمْ طالِبًا التَّوَقُّفَ، لَكِنَّهُ ظَلَّ صامِتًا وتَحَمَّلَ القَذَفاتِ الثَّلاثَ. وقَدْ أُعْجِبَ بَعْضُ هَؤُلاءِ المُشاغِبينَ الكِبارِ بِشَجاعَةِ توم وإيسْت، أَمّا الزَّعيمُ فلاشْمان فَقَدْ أَرادَ المَزيدَ وكانَ يَنْوي وَضْعَهُما في بَطّانِيَّةٍ واحِدَةٍ لِقَذْفِهِما مَعًا، لَكِنَّهُ تَلَقّى تَنْبيهًا يُفيدُ أَنَّ عَريفًا (طالِبًا مُشْرِفًا عَلى الطُّلّابِ) كانَ يَقْتَرِبُ مِنَ القاعَةِ، فَهَرَبَ الجَميعُ بِسُرْعَةٍ. وهَكَذا نَجا توم وإيسْت مِنْ تِلْكَ التَّجْرِبَةِ الخَطِرَةِ.

كانَ اليَوْمُ التّالي يَوْمَ أَحَدٍ، وهُوَ يَوْمُ عُطْلَةٍ وراحَةٍ. في ذَلِكَ اليَوْمِ أُتيحَ لِتوم أَنْ يَسْمَعَ، لأَوَّلِ مَرَّةٍ، الدُّكْتورَ أَرْنولْد وهُوَ يُخاطِبُ الطُّلّابَ في كَنيسَةِ المَدْرَسَةِ. كانَ لِكَلامِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد وَقْعٌ عَظيمٌ في نَفْسِ توم، فَقَدْ عَبَّرَ في خُطْبَتِهِ المُؤَثِّرَةِ عَنِ



اهْتِمامِهِ العَميقِ بِطُلّابِهِ وثِقَتِهِ بِهِمْ. ولَمْ يَكُنْ توم الوَحيدَ الّذي حَرَّكَتْهُ بَلاغَةُ الدُّكْتورِ أَرْنولْد وشَفافِيَّتُهُ، فَجَميعُ الطُّلّابِ - بِما في ذَلِكَ المُشاغِبونَ - لَمَسوا مَدى إخْلاصِ مُديرِهِمْ ومَحَبَّتِهِ لَهُمْ وأَهْلِيَّتِهِ لِيَكونَ قائِدَهُمْ ونَصيرَهُمْ في مَسيرَةِ الخَيْرِ والحَقِّ والعَدالَةِ. خَرَجَ توم وقَلْبُهُ مُفْعَمٌ بِالأَمَلِ والتَّصْميمِ الأَكيدِ عَلى تَأْييدِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد في مَواقِفِهِ وآرائِهِ.

كانَ توم ناجِحًا في دُروسِهِ، فَصُعِّدَ إلى الصَّفِّ الثّالِثِ، وكانَ قَدْ أَلِفَ العَيْشَ في قِسْمِ سكول هاوْس حَيْثُ كانَ الطُّلّابُ العُرَفاءُ (المُشْرِفونَ) يُعامِلونَهُ ورِفاقَهُ بِعَدْلٍ ولُطْفٍ.





تَعَرَّفَ توم لأَوَّلِ مَرَّةٍ إلى عادَةٍ كانَتْ مُتَّبَعَةً في المَدارِسِ الدّاخِلِيَّةِ بِإنجلْترا هي «السُّخْرَةُ» وقَدْ أُعْفِيَ هُوَ مِنْها لِمُدَّةِ شَهْرٍ واحِدٍ بِاعْتِبارِهِ تِلْميذًا جَديدًا. وبِمُوجِبِ هَذا التَّقْليدِ كانَ عَلى التَّلاميذِ الصِّغارِ أَنْ يَخْدُموا رِفاقَهُمُ الّذينَ يَكْبُرونَهُمْ سِنًّا، فَيَقومونَ بِتَنْظيفِ غُرَفِهِمْ أَوْ يُحَضِّرونَ لَهُمْ بَعْضَ وَجَباتِ الطَّعامِ أَوْ يَحْمِلونَ رَسائِلَهُمْ وأَغْراضَهُمْ...

كُلَّ لَيْلَةٍ بَيْنَ مَوْعِدِ العَشاءِ والسّاعَةِ التّاسِعَةِ، كانَ عَلى ثَلاثَةٍ مِنْ صِغارِ التَّلاميذِ أَنْ يَكونوا مُتَأَهِّبينَ لِتَلْبِيَةِ نِداءِ الخِدْمَةِ إذا صَدَرَ عَنْ أَحَدِ العُرَفاءِ. وكانَ واجِبُ تَنْفيذِ المُهِمَّةِ يَقَعُ عَلى عاتِقِ آخِرِ مَنْ يَصِلُ إلى غُرْفَةِ العَريفِ. كانَ توم يَقومُ – مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ – بِمُساعَدَةِ إيسْت في تَنْفيذِ مُهِمّاتِ الخِدْمَةِ الّتي تَقَعُ عَلَيْهِ، وسَرْعانَ ما عُرِفَ عَنْ توم أَنَّهُ إنْسانٌ طَيِّبٌ يَتَفانَى في خِدْمَةِ أَصْدِقائِهِ.

تَعَرَّفَ توم أَيْضًا عَلى لُعْبَةِ «الأَرانِبِ والصَّيّادينَ»، وهِيَ مُطارَدَةٌ في الهَواءِ الطَّلْقِ: يَنْطَلِقُ بِضْعَةُ أَوْلادٍ (الأَرانِبُ) مَسافَةً في الرّيفِ ويَرْمونَ وَراءَهُمْ، عَلى الأَرْضِ، قِطَعًا صَغيرَةً مِنَ الوَرَقِ لِتَكونَ أَثَرًا يَقْتَفيهِ الآخَرونَ (الصَّيّادونَ) الّذينَ يَبْدَؤونَ المَسيرَ بَعْدَ الأَرانِبِ بِخَمْسِ دَقائِقَ ويُحاوِلونَ إمْساكَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعودوا إلى المَدْرَسَةِ.



كانَ توم وإيسْت مِنْ مَجْموعَةِ الأَرانِبِ، ولِسوءِ حَظِّهِما أَضاعا طَريقَهُما، ولَمّا عادا إلى المَدْرَسَةِ مُتَأَخِّرَيْنِ كانَتْ بَوّابَتُها مُقْفَلَةً. فَتَحَ لَهُما البَوّابُ توماس وأَرْسَلَهُما مُباشَرَةً إلى مَكْتَبِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد.

كانَتْ ثِيابُهُما مُلَطَّخَةً بِالوَحْلِ، فَوَقَفا أَمامَ البابِ وقَرَعاهُ بِلُطْفٍ، ثُمَّ دَخَلا مُتَوَقِّعَيْنِ أَنْ يَنالا عِقابًا صارِمًا. لَكِنَّ الدُّكْتورَ أَرْنولْد فاجَأَهُما بِهُدوئِهِ وتَفَهُّمِهِ وقَلَقِهِ عَلَيْهِما، وشَكَرَ اللهَ لأَنَّهُما لَمْ يُصابا بِأَيِّ مَكْروهٍ، ثُمَّ أَرْسَلَهُما لِيَغْتَسِلا ويَتَناوَلا الطَّعامَ بِالرَّغْمِ مِنِ انْتِهاءِ مَوْعِدِ العَشاءِ. وقَدْ كانَ لِهَذا المَوْقِفِ الأَبَوِيِّ مِنْ قِبَلِ المُديرِ أَثَرٌ عَميقٌ في نَفْسَيْهِما.

مَرَّ الفَصْلُ الدِّراسِيُّ الأَوَّلُ بِهَناءٍ وهُدوءٍ، وقَدِ اعْتَبَرَ المُعَلِّمونَ توم إنْسانًا لَطيفًا مَحْبوبًا وتِلْميذًا مُجْتَهِدًا.

انْتَقَلَ توم في الفَصْلِ الدِّراسِيِّ التّالي إلى الصَّفِّ الرّابِعِ، وفيهِ طُلّابٌ تَتَراوَحُ أَعْمارُهُمْ بَيْنَ التّاسِعَةِ والخامِسَةَ عَشْرَةَ. كانَ الكِبارُ في هَذا الصَّفِّ كَسالى وغَيْرَ مُجِدّينَ في دِراسَتِهِمْ، أَمّا الصِّغارُ بَيْنَهُمْ فكانوا أَكْثَرَ اجْتِهادًا واسْتيعابًا، وهَذا ما جَعَلَ الكِبارَ يَكْرَهونَهُمْ حَسَدًا.

ويَبْدو أَنَّ جَوَّ المُشاغِبينَ في هَذا الصَّفِّ كانَ سَيِّئًا بِالنِّسْبَةِ لِتوم وإيسْت إذْ تَأَثَّرا بِأَعْمالِهِمْ وأَخَذا يُهْمِلانِ الدِّراسَةَ. فَفي أَحَدِ الأَيّامِ كانا في غُرْفَةِ الفَصْلِ يَلْهُوانِ بِكُرَةٍ صَغيرَةٍ فيما كانَ المُدَرِّسُ مُنْهَمِكًا في الشَّرْحِ والتَّفْسيرِ. أَفْلَتَتِ الكُرَةُ وتَدَحْرَجَتْ بَيْنَ المَقاعِدِ، فَرَآها المُدَرِّسُ واغْتاظَ، وكانَ عِقابُهُما الضَّرْب. صارَ توم وإيسْت يَرْتَكِبانِ مِثْلَ هَذِهِ المُخالَفاتِ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ، وسَرْعانَ ما فَقَدا صيتَهُما السّابِقَ كَتِلْميذَيْنِ مِثالِيَّيْنِ.

بِالإِضافَةِ إلى ذَلِكَ ساءَتِ الأَحْوالُ أَيْضًا في مَبْنى سكول هاوْس، إذْ كانَ العُرَفاءُ ضُعَفاءَ ولَمْ يَسْتَطيعوا ضَبْطَ تَصَرُّفاتِ الطُّلّابِ الكِبارِ. وقَدْ سَيْطَرَ هَؤُلاءِ المُشاغِبونَ مِنْ طُلّابِ الصَّفِّ الخامِسِ عَلى الجَميعِ وكانوا يُضايِقونَ الصِّغارَ، حَتّى إِنَّهُمْ فَرَضوا عَلَيْهِمْ نِظامَ الخِدْمَةِ أَوِ السُّخْرَةِ مَعَ أَنَّ هَذا مِنْ حَقِّ العُرَفاءِ فَقَطْ.

لِذَلِكَ خَيَّمَتْ عَلى سكول هاوْس أَجْواءُ البُغْضِ والكَراهِيَةِ، ولَمْ يَعُدْ هَذا القِسْمُ مُتَمَيِّزًا بِالتَّناغُمِ والتَّفاهُمِ بَيْنَ أَفْرادِهِ كَما في السّابِقِ.

وتوم – كَما نَعْلَمُ – وَلَدٌ شُجاعٌ وعَنيدٌ، لا يُحِبُّ الانْقِيادَ لِلظُّلْمِ والعُنْفِ، لِذَلِكَ فَكَّرَ في التَّمَرُّدِ عَلى الكِبارِ. قالَ مَرَّةً لإيسْت: «يا صَديقي، إنَّ طُلّابَ الصَّفِّ الخامِسِ يَظْلِمونَنا، ونَحْنُ لَسْنا مُضْطَرّينَ لِخِدْمَتِهِمْ. لَنْ أَخْدِمَ أَحَدًا إلّا إذا كانَ عَريفًا.. سَأَتَصَدّى لِزَعيمِهِمْ فلاشْمان ولَنْ أُلَبِّيَ طَلَباتِهِ.»



كانَ توم وإيسْت عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُما لَنْ يَلْقَيا الدَّعْمَ مِنْ طُلّابِ وعُرَفاءِ الصَّفِّ السّادِسِ لأَنَّهُمْ كانوا يَخْشَوْنَ فلاشْمان وتَسَلُّطَهُ.

سُمِعَتْ عِنْدَها صَرْخَةُ نِداءِ الخِدْمَةِ صادِرَةً مِنْ غُرْفَةِ فلاشْمان، فَتَجاهَلا الأَمْرَ وأَقْفَلا بابَ غُرْفَتِهِما وأَطْفَآ الشَّمْعَةَ. سَرْعانَ ما وَصَلَ فلاشْمان وعِصابَتُهُ وأَخَذوا يَخْبِطونَ البابَ ويَرْكُلونَهُ. ثُمَّ صاحَ فلاشْمان غاضِبًا: «أُخْرُجا الآنَ. أَنا أَعْلَمُ أَنَّكُما بِالدّاخِلِ.»

لَكِنَّهُما لَمْ يُجيبا، فَتَراجَعَ فلاشْمان وأَتْباعُهُ. بَعْدَ قَليلٍ فَتَحَ براوْن وإيسْت البابَ ورَكَضا نَحْو القاعَةِ الكُبْرى حَيْثُ اجْتَمَعا بِبَقِيَّةِ الطُّلّابِ ضَحايا عِصابَةِ فلاشْمان وتَباحَثوا جَميعًا في وَضْعِهِمْ. وقَدِ الْتَفّوا حَوْلَ براوْن وإيسْت وقَرَّروا عَدَمَ



الانْصِياعِ لِأَوامِرِ طُلّابِ الصَّفِّ الخامِسِ. قالَ أَحَدُهُمْ: «عَلَيْنا أَنْ نُخْبِرَ الدُّكْتور أَرْنولْد». فَأَجابَهُ توم: «كَلّا. لَنْ نَحُلَّ مُشْكِلَتَنا بِالشَّكْوى والتَّباكي. يَجِبُ أَنْ نَحْسِمَ الأَمْرَ بِأَنْفُسِنا.»

دَخَلَ القاعَةَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ تِلْميذٌ طَويلٌ يُسَمّى دِيجْز وانْضَمَّ إِلَيْهِمْ وشَجَّعَهُمْ عَلى مُجابَهَةِ المُتَسَلِّطينَ. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ سَبَقَهُمْ إِلى رَفْضِ خِدْمَةِ طُلّابِ الصَّفِّ الخامِسِ بِعِنادٍ وثَباتٍ حَتّى تَرَكوهُ وشَأْنَهُ.

أَصْبَحَ دِيجْز هَذا صَديقًا مُخْلِصًا لِتوم وإيسْت. وهُوَ صَبِيٌّ مُجْتَهِدٌ قَوِيُّ البِنْيَةِ طَويلُ القامَةِ، وكانَ مُنْطَوِيًا عَلى نَفْسِهِ لِذَلِكَ كانَ عَدَدُ أَصْدِقائِهِ قَليلًا. لَكِنَّ الجَميعَ أَحَبّوهُ لِرِقَّتِهِ ولُطْفِهِ وانْدِفاعِهِ في سَبيلِ خِدْمَةِ الصِّغارِ والضُّعَفاءِ.





فِي صَباحِ اليَوْمِ التّالي انْفَجَرَتِ الأَزْمَةُ:

تَوَجَّهَ فلاشْمان نَحْوَ توم وأَمْسَكَ بِذِراعِهِ، ثُمَّ لَواها بِشِدَّةٍ وأَمَرَهُ بِإِحْضارِ قُبَّعَتِهِ. رَفَضَ توم ذَلِكَ بِكُلِّ وُضوحٍ وصَراحَةٍ، فَبَدَأَ الشِّجارُ، لَكِنَّ توم خَلَّصَ نَفْسَهُ إِذْ رَكَلَ غَريمَهُ على ساقِهِ رَكْلَةً قَوِيَّةً وهَرَبَ.

لَمّا أَيْقَنَ المُشاغِبونَ الكِبارُ أَنَّ كُلَّ الطُّلّابِ الصِّغارِ قَدِ اتَّحَدوا ضِدَّهُمْ كَثُرَتِ المَعارِكُ وتَوالَتِ المُجابَهاتُ والمُطارَداتُ. لَكِنَّ الغَلَبَةَ كانَتْ لِلكِبارِ، فَسَرْعانَ ما فَقَدَ كَثيرٌ مِنَ الصِّغارِ شَجاعَتَهُمْ وعادوا لِلاسْتِسْلامِ لِتَسَلُّطِ فلاشْمان وجَماعَتِهِ.



لَمْ يَبْقَ في مَيْدانِ الصِّراعِ سِوى توم وإيسْت، ولَمْ يَتَوانَ دِيجْز عن دَعْمِهِما وتَشْجيعِهِما. وكانا - بِالمُقابِلِ - يُساعِدانِهِ كُلَّما احْتاجَ مُساعَدَةً.

في الرَّبيعِ نَظَّمَ فلاشْمان سَحْبًا عَلى بِطاقاتٍ لِليانَصيبِ الكَبيرِ الَّذي يَجْري في سِباقِ الخَيْلِ الشَّهيرِ «دِرْبي». وفَرَضَ عَلى كُلِّ وَلَدٍ أَنْ يَشْتَرِيَ بِطاقَةً.

كانَ أَحَدُ أَصْدِقاءِ توم مَحْظوظًا إذْ حَصَلَ عَلى البِطاقَةِ الَّتي خُصِّصَ رَقْمُها لأَحَدِ الجِيادِ المُرَجَّحِ فَوْزُها، فَأَرادَ فلاشْمان أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ البِطاقَةَ، لَكِنَّ الصَّبِيَّ أَصَرَّ عَلى الاحْتِفاظِ بِها.

لَمّا تَقَدَّمَ فلاشْمان لأَخْذِ البِطاقَةِ سارَعَ الصَّبِيُّ لإعْطائِها إلى توم، فَدَسَّها هَذا الأَخيرُ في جَيْبِهِ.

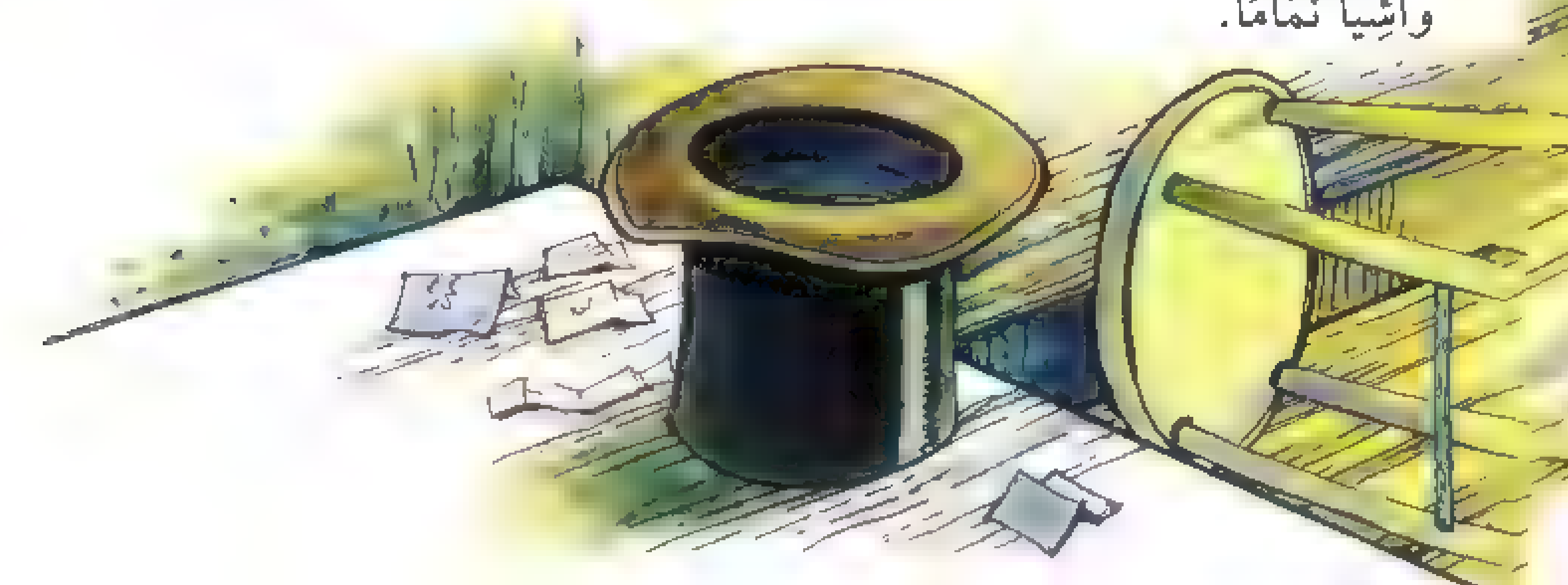


اِغْتاظَ فلاشْمان وصاحَ بِتوم مُتَوَعِّدًا: «اِسْمَعْ يا براوْن! سَتَبيعُني البِطاقَةَ وإلّا...» رَدَّ توم بِعنادِهِ المَعْهودِ: «كَلّا، وأَلْفُ كَلّا»، فَقال فلاشْمان: «عَلى نَفْسِها جَنَتْ بَراقِشُ... سَأَشْويكَ شَيًّا.»

ثُمَّ هَجَمَ بَعْضُ الطُّلّابِ الكِبارِ وقَبَضوا عَلى توم وراحوا يُدْنونَهُ مِنَ النّارِ المُتَأَجِّجَةِ في المَوْقِدِ حَتّى حَمِيَتْ ثِيابُهُ وأَخَذَ الدُّخانُ يَتَصاعَدُ مِنْها. تَأَلَّمَ توم وجاهَدَ مُحاوِلًا التَّخَلُّصَ لِلابْتِعادِ عَنِ النّارِ الَّتي لَسَعَتْ ساقَيْهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الإِفْلاتَ، وسَأَلَهُ فلاشْمان: «هَلْ سَتَبيعُ البِطاقَةَ الآنَ؟» فَأَجابَ توم: «كَلّا.. كَلّا».

قالَ أَحَدُ الأَوْلادِ لِفلاشْمان: «هَذا يَكْفي!» لَكِنَّ فلاشْمان لَمْ يُصْغِ إِلَيْهِ. هُنا دَخَلَ دِيجز القاعَةَ، ولَمّا رَأَى ما يَجْري ولاحَظَ أَنَّ توم يَكادُ يُغْمَى عَلَيْهِ طارَ عَقْلُهُ واندَفَعَ نَحْوَ المُعْتَدينَ وأَبْعَدَهُمْ عَنْ توم وصاحَ: «إِنَّ المِسْكينَ عَلى وَشْكِ الانْهِيارِ. هاتوا الماءَ ونادوا المُشْرِفَةَ المَسْؤولَةَ.»

سَرْعانَ ما وَصَلَتِ المُشْرِفَةُ المَسْؤولَةُ ونُقِلَ توم إِلى حُجْرَةِ التَّمْريضِ. لَمْ يَنْبِسْ توم بِبِنْتِ شَفَةٍ (لَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ) عَمّا حَدَثَ ولَمْ يُعْطِ أَيَّ تَفْسيرٍ عَنْ سَبَبِ إِصابَتِهِ بِتِلْكَ الحُروقِ، ولَمْ يَصِلْ إِلى الدُّكْتورِ أَرْنولْد أَيُّ شَيْءٍ عَنْ تِلْكَ الحادِثَةِ، فَتوم - كَالعادَةِ - شُجاعٌ يَخوضُ مَعارِكَهُ بِنَفْسِهِ ولا يُحِبُّ أَنْ يَكونَ واشِيًا نَمّامًا.



كانَ توم وإيسْت في إحْدى الأُمْسِيّاتِ جالِسَيْنِ قُبالَةَ النّارِ في القاعَةِ الكُبْرى وهُما يَتَجاذَبانِ أَطْرافَ الحَديثِ، بَيْنَما كانَ دِيجز يُذاكِرُ صامِتًا قُرْبَ المَوْقِدِ الآخَرِ. دَخَلَ فلاشْمان فَجْأَةً وطارَ نَحْوَ توم ولَطَمَهُ وَراءَ أُذُنَيْهِ وقالَ: «لا يُمْكِنُكُما البَقاءُ هُنا حَتّى هَذِهِ السّاعَةِ. اِذْهَبا إلى غُرْفَتِكُما حالًا!»

مَعَ عِلْمِ توم بِأَنَّهُ وصَديقَهُ إيسْت مُخالِفانِ فَقَدْ أَجابَ مُحْتَدًّا: «لا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَطْرُدَنا!» فَقالَ فلاشْمان: «سَأَجُرُّكُما إلى الخارِجِ عُنْوَةً.»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَدَخَّلَ دِيجز وصاحَ مِنْ مَكانِهِ: «اِسْمَعا كَلامي.. لَنْ تَتَخَلَّصا مِنْ مُضايَقاتِ هَذا المُتَنَمِّرِ (المُشاغِبِ) إلّا إذا تَغَلَّبْتُما عَلَيْهِ. اُهْجُما عَلَيْهِ الآنَ، وأَنا سَأَمْنَعُ الآخَرينَ مِنَ التَّدَخُّلِ.» تَبادَلَ توم وإيسْت نَظْرَةَ تَساؤُلٍ وأَوْمَأَ كُلٌّ مِنْهُما لِلآخَرِ بِرَأْسِهِ عَلامَةَ الإيْجابِ. وبِمِثْلِ لَمْحِ البَصَرِ هَبّا مَعًا وأَطْبَقا عَلى فلاشْمان. راحا



يَدْفَعانِهِ ويَلْكُمانِهِ بِعُنْفٍ وقُوَّةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فلاشْمان الدِّفاعَ عَنْ نَفْسِهِ وكادَ يَنْهارُ، لَوْلا أَنَّهُ تَمَكَّنَ - وهُوَ يَتَخَبَّطُ - مِنَ الإِمْساكِ بِعُنُقِ توم وأَخَذَ يَضْغَطُ عَلَيْهِ.

لَمّا أَحَسَّ توم بِخَطَرِ الاخْتِناقِ، لَمْ يَجِدْ أَمامَهُ سِوى حَلٍّ واحِدٍ هُوَ اللُّجوءُ إلى الطَّريقَةِ الخاصَّةِ لِرَمْيِ الخَصْمِ الّتي يَعْرِفُها مُنْذُ صِغَرِهِ: أَمْسَكَ توم غَريمَهُ مِنْ خَصْرِهِ ولَفَّ رِجْلَهُ على رِجْلِهِ، ثُمَّ انْفَتَلَ بِجَسَدِهِ بِشَكْلٍ مُباغِتٍ فَأَوْقَعَهُ أَرْضًا.

اِرْتَطَمَ رَأْسُ فلاشْمان، وهُوَ يَهْوي، بِمَقْعَدٍ خَشَبِيٍّ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ لَحَظاتٍ. لَمّا أَفاقَ بَدَأَ يُوَلْوِلُ: «اُتْرُكاني.. لَقَدِ انْكَسَرَتْ جُمْجُمَتي!» فَصاحَ بِهِ دِيجْز: «هَيّا انْهَضْ، لَيْسَ هُناكَ أَيُّ كَسْرٍ، إِنَّها مُجَرَّدُ خُدوشٍ في الجِلْدِ.»

قامَ فلاشْمان مُنْهَكًا وقَدْ جُرِحَ جِلْدُ رَأْسِهِ، وانْسَلَّ مِنَ القاعَةِ مُطَأْطِئَ الرَّأْسِ، وهُوَ يَجُرُّ أَذْيالَ الخَيْبَةِ. لَقَدْ لُقِّنَ دَرْسًا لَنْ يَنْساهُ!



سُرْعانَ ما وَصَلَ فَلاشْمان إلى الطَّريقِ المَسْدودِ، فَقَدْ ضَبَطَهُ أَحَدُ المُدَرِّسينَ وهُوَ يَسيرُ في الشّارِعِ، خارِجَ المَدْرَسَةِ، مَخْمورًا. ولأَنَّ الدُّكْتورَ أَرْنولْد كانَ على عِلْمٍ بِبَعْضِ أَعْمالِهِ السّابِقَةِ وتَصَرُّفاتِهِ المُشينَةِ فَقَدْ قَرَّرَ طَرْدَهُ مِنَ المَدْرَسَةِ. وفي اليَوْمِ التّالي حَمَلَ فلاشْمان أَغْراضَهُ وغادَرَ المَدْرَسَةَ ذَليلًا مُهانًا.

بَعْدَ طَرْدِ فلاشْمان لَمْ يَعُدْ لِبَقِيَّةِ رِفاقِهِ مِنْ تَأْثيرٍ، فَطابَ الجَوُّ لِتوم وإيسْت وارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيّاتُهُما. لَكِنَّهُما كانا أَحْيانًا يَتَمادَيانِ في تَفَرُّدِهِما بِالتَّصَرُّفِ عَلى هَواهُما، مِمّا جَعَلَهُما مَصْدَرَ قَلَقٍ دائِمٍ بِالنِّسْبَةِ لِلمُعَلِّمينَ.

كانا يُحِبّانِ صَيْدَ السَّمَكِ في نَهْرِ أفون الّذي يَمُرُّ في الأَراضي الرّيفِيَّةِ المُحيطَةِ بِالمَدْرَسَةِ. وكانَ هَذا الأَمْرُ يوقِعُهُما في مُواجَهاتٍ مَعَ حُرّاسِ تِلْكَ الأَراضي.

لَمّا مُنِعا مِنَ الصَّيْدِ في مَواقِعَ مُعَيَّنَةٍ عَمَدا إلى حيلَةٍ طَريفَةٍ، فَكانا يَرْبُطانِ خُيوطَ الصَّنانيرِ لَيْلًا ويَتْرُكانِها ثُمَّ يَعودانِ لِسَحْبِها مَعَ السَّمَكِ المَصيدِ قَبْلَ بُزوغِ الفَجْرِ، ولَمْ يُلاحِظِ الحُرّاسُ ذَلِكَ. لَكِنَّ توم كانَ يُحِبُّ المُخاطَرَةَ والصَّيْدَ نَهارًا في



الأَماكِنِ المَمْنوعَةِ، وقَدْ فاجَأَهُ الحارِسُ يَوْمًا فَأَسْرَعَ وتَسَلَّقَ شَجَرَةً هَرَبًا مِنْهُ.

صاحَ الحارِسُ: «لَقَدْ ضَبَطْتُكَ أَيُّها الشَّقِيُّ.. اِنْزِلْ حالًا!» لَمْ يُجِبْ توم وقَرَّرَ البَقاءَ عَلى الشَّجَرَةِ حَتّى يَنْفَدَ صَبْرُ الرَّجُلِ ويَذْهَبَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، فَاضْطُرَّ توم لِلنُّزولِ حَتّى لا يَتَأَخَّرَ في الوُصولِ إلى المَدْرَسَةِ قَبْلَ أَنْ يَدُقَّ الجَرَسُ.

ساقَهُ الحارِسُ إلى المَدْرَسَةِ وأَخَذَهُ مُباشَرَةً إلى مَكْتَبِ المُديرِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد. قالَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد: «لَقَدْ خالَفْتَ نِظامَ المَدْرَسَةِ بِكُلِّ وَقاحَةٍ يا براوْن اِذْهَبِ الآنَ، وتَعالَ إلى مَكْتَبي في الصَّباحِ.»





سَأَلَ الحارِسُ المُديرَ: «وماذا أَفْعَلُ بِقَصَبَةِ الصَّيْدِ هَذِهِ؟» فَأَجابَهُ: «اِحْتَفِظْ بِها.»

ناشَدَ توم الحارِسَ قائِلًا: «أَرْجوكَ يا سَيِّدي أَعِدْها لي. عَلَيَّ أَنْ أُرْجِعَها لِصاحِبِها، فَهِيَ لَيْسَتْ لي.» أَشْفَقَ الرَّجُلُ عَلى توم وأَعْطاهُ القَصَبَةَ، فَسُرَّ توم مُؤَقَّتًا لأَنَّهُ في اليَوْمِ التّالي نالَ عِقابَهُ ضَرْبًا شَديدًا عَلى يَدِ الدُّكتورِ أَرْنولْد.

بَعْدَ أَيّامٍ رَأى توم الحارِسَ فَأَعْطاهُ بَعْضَ المالِ مُكافَأَةً لَهُ عَلى مَوْقِفِهِ المُتَفَهِّمِ، وأَصْبَحا مُنْذُ ذاكَ، عَلى عَلاقَةٍ جَيِّدَةٍ.

لَمْ تَمْضِ أَيّامٌ عَلى تِلْكَ الحادِثَةِ حَتّى أَوْقَعَ توم نَفْسَهُ في مُشْكِلَةٍ أُخْرى: كانَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد قَدْ أَصْدَرَ أَمْرًا لِلطُّلّابِ بِوُجوبِ عَدَمِ الذَّهابِ إِلى البَلْدَةِ في الفَتْرَةِ الّتي تُقامُ فيها السّوقُ المَوْسِمِيَّةُ. لَكِنَّ توم وإيسْت تَسَلَّلا مِنَ المَدْرَسَةِ صَباحًا وقَضَيا مُعْظَمَ يَوْمِهِما في شَوارِعِ البَلْدَةِ وفي السّوقِ، ولِسوءِ حَظِّهِما، شاهَدَهُما أَحَدُ مُعَلِّمي المَدْرَسَةِ. وبِالطَّبْعِ وَصَلَ الخَبَرُ لِلدُّكْتورِ أَرْنولْد ونالَ الشَّقِيّانِ عِقابَهُما المَعْهودَ أَيِ الضَّرْبَ.



أُسْتُدْعِيَ توم وإيسْت إلى غُرْفَةِ المُديرِ في اليَوْمِ التّالي. لَمْ يَكُنِ الدُّكْتورُ أَرْنولْد هَذِهِ المَرَّةَ غاضِبًا بَلْ كانَ هادِئًا وجادًّا. قالَ: «أَصْغِيا بانْتِباهٍ لِما سَأَقولُهُ يا وَلَدَيَّ.. إِنَّني حَزينٌ لاضْطِراري لِضَرْبِكُما بِسَبَبِ مُخالَفاتِكُما المُتَكَرِّرَةِ. لا يُمْكِنُكُما الاسْتِمرارُ عَلى هَذا المِنْوالِ.. إذا خالَفْتُما النِّظامَ فَلَنْ يَكونَ أَمامي سوى فَصْلِكُما مِنَ المَدْرَسَةِ. إِنَّ ما قُمْتُما بِهِ حَتّى الآنَ يُهَدِّدُ مَصيرَكُما ويُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلى تَصَرُّفاتِ الأَوْلادِ الباقينَ.. لَنْ أَسْمَحَ لَكُما بِالتَّصَرُّفِ بِهَذا الشَّكْلِ الصِّبْيانِيِّ الطّائِشِ. هَلْ تَفْهَمانِ ما أَعْنيهِ؟»

أَطْرَقَ توم وإيسْت صامِتَيْنِ، فَأَرْدَفَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد: «فَكِّرا مَلِيًّا خِلالَ العُطْلَةِ.. إِنَّها فُرْصَتُكُما الأَخيرَةُ!»

خَرَجَ الصَّبِيّانِ كَالضّائِعَيْنِ تَفْتَرِسُهُما الهَواجِسُ، فَقَدْ هالَهُما أَنْ يُهَدَّدا بِالطَّرْدِ مِنْ مَدْرَسَةِ رَغْبي الَّتي يُحِبّانِها كَثيرًا ويَتَمَنَّيانِ البَقاءَ فيها.

لَمْ يَكُنِ القَلَقُ مُسَيْطِرًا على توم وإيسْت وَحْدَهُما، فَالدُّكْتورُ أَرْنولْد كانَ قَلِقًا أَيْضًا، وتَأَمَّلَ الوَضْعَ خِلالَ العُطْلَةِ.

لاحَظَ أَرْنولْد أَنَّ الصَّبِيَّيْنِ يَنْقُصُهُما الحِسُّ بِالمَسْؤولِيَّةِ وأَنَّ توم أَكْثَرُ طَيْشًا مِنْ صَديقِهِ، فَقَرَّرَ تَكْليفَهُ بِمُهِمَّةِ رِعايَةِ وَلَدٍ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًّا، عَلَّ ذَلِكَ يُنَمّي لَدَيْهِ الثِّقَةَ بِالنَّفْسِ وحُبَّ النِّظامِ فَيُصْبِحُ إِنْسانًا رَزينًا يُقَدِّرُ المَسْؤولِيَّةَ ويَتَحَمَّلُ تَبِعاتِها. وبِالفِعْلِ تَبَيَّنَ فيما بَعْدُ، أَنَّ فِكْرَةَ الدُّكْتورِ أَرْنولْد كانَتْ صائِبَةً.

لَمّا عادَ توم إلى رَغْبي في بِدايَةِ الفَصْلِ الدِّراسِيِّ الجَديدِ اسْتَدْعَتْهُ المُشْرِفَةُ المَسْؤولَةُ، وقالَتْ لَهُ: «إِنَّ تَعْليماتِ السَّيِّدَةِ أَرْنولْد تَقْضي بِأَنْ تَأْخُذَ الغُرْفَةَ الَّتي كانَ يَشْغَلُها جراي وسَيُشارِكُكَ فيها تِلْميذٌ جَديدٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْعاهُ وتَعْتَنِيَ بِهِ... إِنَّهُ يُسَمّى جورْج آرْثر، وهُوَ في صَفِّكَ، وسَيَنامُ في قاعَةِ النَّوْمِ الرّابِعَةِ في السَّريرِ الَّذي بِجانِبِ سَريرِكَ. إِنَّ إيسْت سَيُنْقَلُ إِلى مَكانٍ آخَرَ.»

لَمْ يُرَحِّبْ توم أَوَّلًا بِهَذا التَّغْييرِ. صَحيحٌ أَنَّهُ سَيَحْظَى بِغُرْفَةٍ كَبيرَةٍ طالَما أَرادَها، لَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ تُلْقى عَلَيْهِ مَسْؤولِيَّةُ العِنايَةِ بِوَلَدٍ صَغيرٍ. نَظَرَ إِلى رَفيقِهِ الجَديدِ بِازْدِراءٍ ورَأى أَنَّهُ لا يَتَجاوَزُ الثّالِثَةَ عَشْرَةَ، هَزيلٌ، شاحِبُ الوَجْهِ، أَزْرَقُ العَيْنَيْنِ، أَشْقَرُ الشَّعْرِ. فَأَيْقَنَ أَنَّ هَذا الوافِدَ الواهِنَ سَيَلْقى الأَمَرَّيْنِ عَلى يَدِ كِبارِ الطُّلّابِ ما لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ يَهْديهِ ويَحْميهِ.

لَمّا لاحَظَتِ المُشْرِفَةُ صَمْتَ توم وتَرَدُّدَهُ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ وأَضافَتْ هامِسَةً: «إِنَّ هَذا الصَّبِيَّ مِسْكينٌ! لَقَدْ فَقَدَ والِدَهُ مُؤَخَّرًا، وأُخْتُهُ تُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديدٍ، ولَيْسَ لَهُ أُخْوَةٌ.»

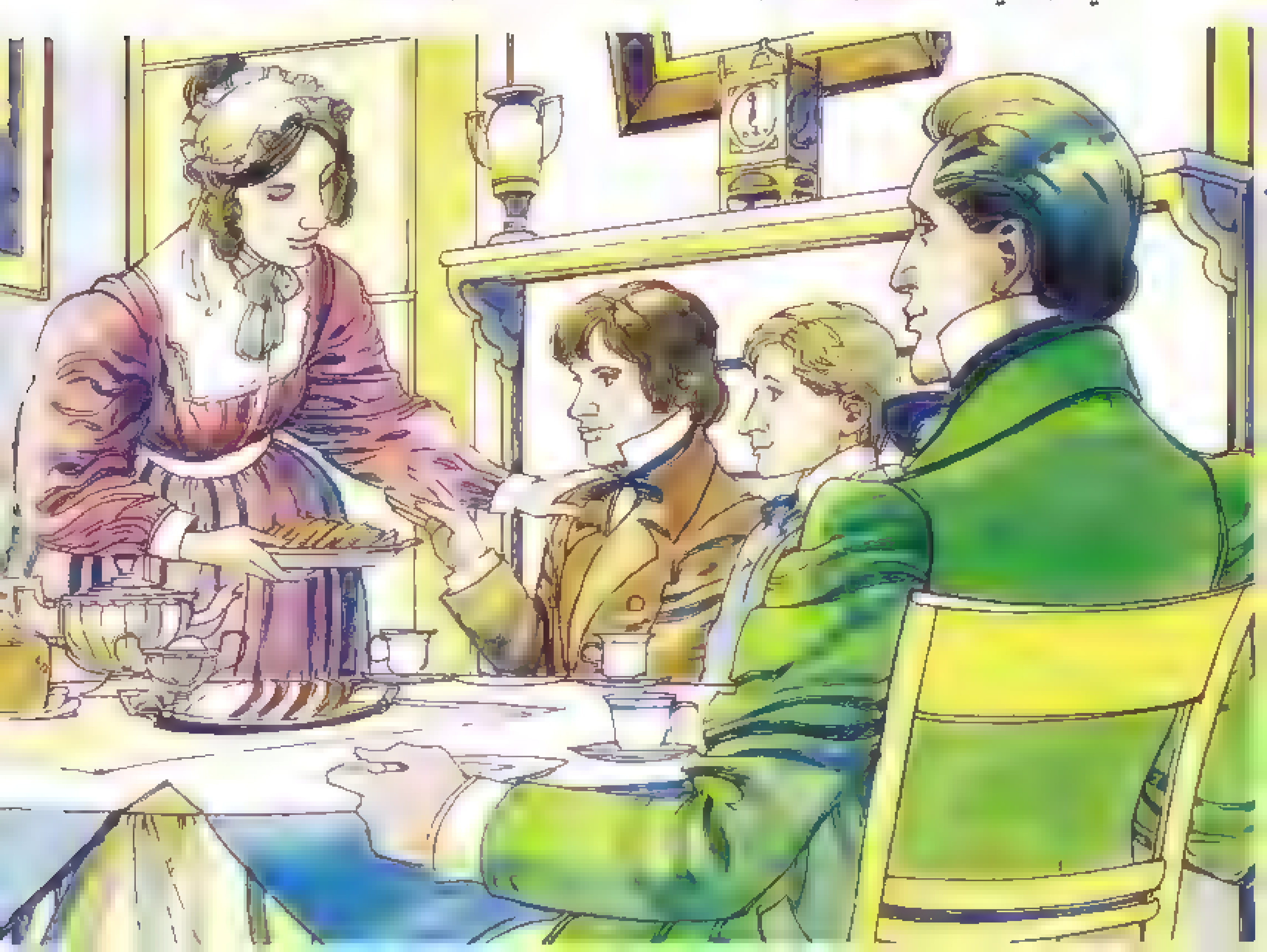
تَوَجَّهَ توم لِلصَّبِيِّ قائِلًا: «تَعالَ مَعي يا صَديقي الصَّغيرَ سَنَذْهَبُ الآنَ لِلعَشاءِ. بَعْدَ ذَلِكَ آخُذُكَ إِلى غُرْفَتِكَ.» قَبْلَ أَنْ يَسيرا قالَتِ المُشْرِفَةُ: «إِنَّ السَّيِّدَةَ زَوْجَةَ السَّيِّدِ أَرْنولْد تَدْعوكُما لِتَناوُلِ الشّايِ في مَنْزِلِها.»



فُوجِئَ توم بِهَذا الطَّلب، فَها هِيَ السَّيِّدَةُ أَرْنولْد تَدْعوهُ لِتَناوُلِ الشّاي وَكَأَنَّهُ مِنْ طُلّابِ الصَّفِّ الخامِسِ أَوِ السّادِسِ، لِذَلِكَ شَعَرَ بِاعْتِزازٍ وفَخْرٍ وأَحَسَّ أَنَّهُ إِنْسانٌ ذو شَأْنٍ.

في مَنْزِلِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد جَمَعَ اللِّقاءُ - بِالإضافَةِ إلى توم وآرْثر - السَّيِّدَةَ أَرْنولْد وأَوْلادَها ومُعَلِّمًا شابًّا وبروك الصَّغيرَ، وهَذا الأَخيرُ هُوَ الشَّقيقُ الأَصْغَرُ لِلكابْتِنِ السّابِقِ بروك الكَبيرِ. ثُمَّ انْضَمَّ إِلَيْهِمُ الدُّكْتورُ أَرْنولْد نَفْسُهُ.

رَحَّبَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد بِتوم قائِلًا: «أَهْلًا بِكَ. لَكَمْ تَسُرُّني رُؤْيَتُكَ.. كَيْفَ أَحْوالُ والِدَيْكَ؟» فَأَجابَ توم بِكُلِّ أَدَبٍ: «إِنَّهُما بِخَيْرٍ يا سَيِّدي.» وتابَعَ الدُّكْتورُ قائِلًا: «هَذا هُوَ الشّابُّ الصَّغيرُ الّذي نَعْهَدُ إِلَيْكَ بِرِعايَتِهِ. إِنَّهُ ضَعيفٌ وهَزيلٌ، لَكِنْ جَوٌّ رَغْبي صِحِّيٌّ والتَّمارينُ الرِّياضِيَّةُ مُفيدَةٌ وهَذا سَيُحَسِّنُ وَضْعَهُ. عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَهُ



في نُزُهاتٍ إلى مَزْرَعَةِ بِلْتون وغابَةِ كالْدِكوت.»

أَخَذَ توم يُسائِلُ نَفْسَهُ: «إلامَ يَرْمي الدُّكْتور؟ هَلْ يَعْلَمُ أَنّي أَذْهَبُ إلى مَزْرَعَةِ بِلْتون مُفَتِّشًا أَعْشاشَ الطُّيورِ أَوْ أَنّي أَتَرَدَّدُ عَلى غابَةِ كالْدِكوت لِصَيْدِ السَّمَكِ في النَّهْرِ؟ عَلى كُلِّ حالٍ المُهِمُّ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ المُخالَفاتِ الّتي ارْتَكَبْتُها في الفَصْلِ الدِّراسِيِّ السّابِقِ. عَسى أَنْ يَكونَ قَدْ نَسِيَها».

كانَ توم جادًّا في تَحَمُّلِهِ المَسْؤولِيَّةَ، وقَرَّرَ أَنْ يَبْذُلَ غايَةَ ما يَسْتَطيعُ لِرِعايَةِ آرْثر وحِمايَتِهِ مِنْ مُضايَقاتِ الطُّلّابِ الكِبارِ وتَعَدِّياتِهِمْ، فَبَدَأَ يُوَجِّهُهُ بِشَكْلٍ فَعّالٍ: طَلَبَ مِنْهُ أَلّا يَأْتِيَ عَلى ذِكْرِ أُمِّهِ أَوْ أَفْرادِ عائِلَتِهِ أَوْ شُؤونِ الأُسْرَةِ، ونَصَحَهُ بالحَذَرِ مِنَ التَّمادي في الكَلامِ مَعَ الأَوْلادِ غَيْرِ المُقَرَّبينَ مِنْهُ حَتّى لا يَتَّهِموهُ بِالشُّعورِ بِالغُرْبَةِ والحَنينِ إلى البَيْتِ ويُشَبِّهوهُ بِالطِّفْلِ الصَّغيرِ.



كانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ آرْثر الأُولى في قاعَةِ النَّوْم، وقَدْ سَيْطَرَ عَلَيْهِ الإحْساسُ بِالغُرْبَةِ والحيرَةُ، حَتّى إنَّهُ خَجِلَ مِنْ تَغْيِيرِ مَلابِسِهِ بِوُجودِ الأَوْلادِ الآخَرينَ، ولَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ يُسْمَحُ لَهُ بِغَسْلِ وَجْهِهِ. لَكِنَّ توم دَلَّهُ عَلى حَوْضِ الغَسْلِ.

عادَ آرْثر بَعْدَ أَنْ غَسَلَ وجْهَهُ، ورَكَعَ قُرْبَ سَريرِهِ لِيَقولَ صَلاتَهُ قَبْلَ النَّوْمِ كَما اعْتادَ أَنْ يَفْعَلَ مُنْذُ أَنْ كانَ طِفْلًا.

لَمْ يُلاحِظْهُ توم أَوَّلَ الأَمْرِ، لَكِنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ الأَوْلادِ يُقَهْقِهونَ، ورَأى أَحَدَهُمْ يَتَناوَلُ خُفَّهُ ويَرْمِيهِ عَلى الصَّبِيِّ الرَّاكِعِ!

كانَ توم، في هَذِهِ الأَثْناءِ، يَخْلَعُ حِذاءَهُ مِنْ رِجْلِهِ فَلَمْ يَتَوانَ في أَخْذِ فَرْدَةِ حِذائِهِ وقَذْفِها نَحْوَ الصَّبِيِّ المُعْتَدي، فَكادَتْ تُصيبُ رَأْسَهُ لَوْ لَمْ يَتَنَبَّهْ ويَتَفاداها، وقَدْ سَيْطَرَ الوُجومُ عَلى بَقِيَّةِ الأَوْلادِ الّذينَ لَمْ يُحَرِّكوا ساكِنًا.

أَثارَتْ تِلْكَ الحادِثَةُ الخَواطِرَ لَدى توم:

فَكَّرَ بِأَنَّهُ ما زالَ دونَ الخامِسَةَ عَشْرَةَ ولَمْ يَنْسَ عَهْدَ الطُّفولَةِ بَعْدُ، وراحَ يَتَذَكَّرُ أَيّامَهُ الأُولى في مَدْرَسَةِ رَغْبي وكَيْفَ كانَ يَخْجَلُ مِنَ الرُّكوعِ قُرْبَ سَريرِهِ بُوجودِ الأَوْلادِ الآخَرينَ فَيَعْمِدُ إلى الصَّلاةِ بِصَمْتٍ وهُوَ في الفِراشِ، لَكِنَّهُ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، راحَ يَنْسَى القِيامَ بِهَذا الواجِبِ. ثُمَّ ازْدادَ شُعورُهُ بِالذَّنْبِ إذْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ كانَ قَدْ وَعَدَ أُمَّهُ بِتِلاوَةِ صَلاتِهِ راكِعًا كُلَّ يَوْمٍ.

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي نَهَضَ توم وغَسَلَ وَجْهَهُ وارْتَدى ثِيابَهُ، ثُمَّ رَكَعَ قُرْبَ سَريرِهِ وأَخَذَ يُصَلّي.

لَمْ يُفَكِّرْ توم بِرَدَّةِ فِعْلِ الأَوْلادِ حَوْلَهُ، إنَّما سَأَلَ رَبَّهُ المَغْفِرَةَ عَلى تَقْصيرِهِ وإخْلالِهِ بِواجِباتِهِ.

بَعْدَ ذَلِكَ وَقَفَ توم بِثِقَةٍ وعَزْمٍ وأَلْقى نَظْرَةً عَلى الطُّلّابِ يُريدُ تَحَدِّيَهُمْ لأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ سَيَضْحَكونَ مِنْهُ.



تَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ عِنْدَما رَأى أَنَّ الوَضْعَ كانَ عَلى غَيْرِ ما يَظُنُّ، بِالإضافَةِ إلى أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الأَوْلادِ كانا راكِعَيْنِ يُصَلِّيانِ.

اِنْتَشَرَ الخَبَرُ في أَنْحاءِ قِسْمِ سكول هاوْس، وَبِالرَّغْمِ مِنْ إطْلاقِ بَعْضِ صَيْحاتِ الاسْتِهْجانِ أَوِ السُّخْرِيَةِ أَحْيانًا فَقَدْ بَدَأَتْ هَذِهِ العادَةُ بِالانْتِشارِ والرُّسوخِ. وقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ توم وآرْثر مَدْرَسَةَ رَغْبي أَصْبَحَ رُكوعُ الأَوْلادِ لِلصَّلاةِ عادَةً مَقْبولَةً ومُتَّبَعَةً، وكُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ شَجاعَةِ آرْثر ذَلِكَ الوَلَدِ الحَسّاسِ الرَّقيقِ الّذي قامَ بِما يُمْليهِ عَلَيْهِ الواجِبُ والضَّميرُ.

رَأى توم أَنَّهُ مِنَ المُفيدِ والمُمْتِعِ لِآرْثر أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلى مارْتن. ومارْتن هَذا وَلَدٌ ذو شَخْصِيَّةٍ طَريفَةٍ واهْتِماماتٍ غَريبَةٍ، وكانَ طُلّابُ المَدْرَسَةِ يُلَقِّبونَهُ بـ «مارْتن المَجْنون».

تَعَرَّفَ آرْثر عَلى مارْتن أَوَّلَ مَرَّةٍ في الصَّفِّ، عِنْدَما أَضاعَ أَحَدَ كُتُبِهِ فَأَعارَهُ مارْتن كِتابَهُ. أُعْجِبَ آرْثر بِلُطْفِ مارْتن ونُبْلِ تَصَرُّفاتِهِ، ولَفَتَهُ اخْتِلافُهُ عَنْ باقي الأَوْلادِ،



ومِنْ مَزاياهُ أَنَّهُ كانَ عالِمًا بالحَيَواناتِ والنَّباتاتِ وماهِرًا في التَّجارِبِ العِلْمِيَّةِ.

كانَ مُعْظَمُ الأَوْلادِ يَتَجَنَّبونَ غُرْفَةَ مارْتن، إذْ كانَ يَحْتَفِظُ فيها بِعَدَدٍ مِنَ الفِئْرانِ وَالقَنافِذِ والحَيّاتِ والغِرْبانِ، وكانَتْ تَنْبَعِثُ مِنْها رَوائِحُ كَريهَةٌ نَتيجَةً لاخْتِباراتِهِ الكيمِيائِيَّةِ. وقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنَّ الدُّكْتورَ أرْنولْد نَفْسَهُ – خِلالَ إحْدى زِياراتِهِ النّادِرَةِ لِبَيْتِ الطَّلَبَةِ – أُصيبَ بِذُعْرٍ شَديدٍ لَدى صُدورِ صَوْتِ انْفِجارٍ مُدَوٍّ مِنْ غُرْفَةِ مارْتن.

أَقامَ توم، في إحْدى الأُمْسِيّاتِ، حَفْلَ عَشاءٍ فاخِرٍ في غُرْفَتِهِ لآرْثر ومارْتن في مُحاوَلَةٍ مِنْهُ لِتَعْزيزِ جَوِّ الأُلْفَةِ والصَّداقَةِ بَيْنَ الاثْنَيْنِ. وقَدْ دَعا مارْتن صَديقَهُ الجَديدَ آرْثر لِمُرافَقَتِهِ في رِحْلَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِتَفْتيشِ أَعْشاشِ الطُّيورِ في غابَةِ كالْدِكوت حَيْثُ كانَ مارْتن قَدِ اكْتَشَفَ أَعْشاشًا لِبَعْضِ أَنْواعِ الطُّيورِ كَالعَوْسَقِ والصَّعْوَةِ والرَّفْرافِ. وقَدْ تَمَّتِ الرِّحْلَةُ بِنَجاحٍ، وتَبِعَتْها مُغامَراتٌ أُخْرى كانَ بَعْضُها يَنْتَهي بِمُطارَدَةِ المُزارِعينَ لَهُما لاعْتِقادِ هَؤُلاءِ بِأَنَّ الصَّبِيَّيْنِ يُغيرانِ عَلى طُيورِهِمُ الدّاجِنَةِ.





أَحَسَّ توم بِالغَيْرَةِ مِنَ الصَّداقَةِ القائِمَةِ بَيْنَ آرْثر ومارْتن، لَكِنَّهُ سَرْعانَ ما تَبَيَّنَ فائِدَةَ هَذِهِ العَلاقَةِ بِالنِّسْبَةِ لآرْثر إِذْ كانَ سَعيدًا بِرِفْقَةِ مارْتن وازْدادَتْ ثِقَتُهُ بِنَفْسِهِ، وكانَ لِلرِّحْلاتِ في الطَّبيعَةِ أَثَرٌ بادٍ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَهْوى الرَّكْضَ ويُحِبُّ التَّسَلُّقَ، مِمّا انْعَكَسَ تَحَسُّنًا على بِنْيَتِهِ الجَسَدِيَّةِ وتَكْوينِهِ النَّفْسِيِّ.

وإذا كانَتْ مَدْرَسَةُ رَغْبي تَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِها مِنْ مَدارِسِ تِلْكَ الأَيّامِ مِنْ حَيْثُ مُسْتَواها ونِظامُها، إِلّا أَنَّها كانَتْ مِثْلَ بَقِيَّةِ المَدارِسِ في بِضْعَةِ جَوانِبَ أَبْرَزُها ظاهِرَةُ حُدوثِ مَعارِكَ ومُشاجَراتٍ بَيْنَ الطُّلّابِ. وَقَدْ كانَ توم، خِلالَ حَياتِهِ المَدْرَسِيَّةِ في رَغْبي، طَرَفًا في ثَلاثِ مَعارِكَ أَوْ أَرْبَعٍ، لَكِنَّ المَعْرَكَةَ الكُبْرى كانَتْ



تِلْكَ الّتي خاضَها دِفاعًا عَنْ آرْثر. لَقَدْ كانَت واحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ المَعارِكِ في تاريخِ مَدْرَسَةِ رَغْبي!

بَدَأَتِ الشَّرارَةُ الأولى في حِصَّةِ الآدابِ القَديمَةِ: كانَ آرْثر طالِبًا مُجِدًّا وقَدْ قامَ بِتَرْجَمَةِ بِضْعَةِ أَسْطُرٍ زِيادَةً عَلى ما هُوَ مَطْلوبٌ. فَغَضِبَ نَفَرٌ مِنَ الطُّلّابِ الكِبارِ الكَسالى، ومِنْ بَيْنِهِمْ وِلْيامْز المُلَقَّبُ بِالوَحْشِ الّذي اعْتَبَرَ أَنَّ آرْثر – بِعَمَلِهِ هَذا – يَكْشِفُ كَسَلَ الآخَرينَ ويَسْعَى لِلَفْتِ انْتِباهِ الأُسْتاذِ.

تَمْتَمَ وِلْيامْز مُغْتاظًا: «يا لَهُ مِنْ وَغْدٍ حَقيرٍ، سَوْفَ أَلْكُمُهُ لَكْمَةً تُطيحُ بِرَأْسِهِ!» سَمِعَ توم تِلْكَ المُلاحَظَةَ فَسَأَلَهُ: «رَأْسَ مَنْ تَعْني؟» فَأَجابَ: «بِالطَّبْعِ رَأْسَ آرْثر ذَلِكَ المُغَفَّلِ الدَّنيءِ.»

بَعْدَ انْتِهاءِ الدَّرْسِ، أَمْسَكَ وِلْيامْز بِآرْثر وأَرادَ أَنْ يَضْرِبَهُ، فَتَدَخَّلَ توم وأَبْعَدَهُ عَنْهُ، فَصاحَ وِلْيامْز: «لِماذا تَتَدَخَّلُ بَيْنَنا؟ هَلْ تَتَحَدّاني لِلعِراكِ؟» أَجابَ توم بِكُلِّ جُرْأَةٍ: «أَجَلْ إني أَتَحَدّاكَ لِلنِّزالِ وسَأُلَقِّنُكَ دَرْسًا.» هُنا هَبَّ أَوْلادُ الصَّفِّ مُبْتَهِجينَ: «سَتَجْري مَعْرَكَةٌ بَيْنَ وِلْيامْز الوَحْشِ وتوم براوْن!»

سَرْعانَ ما انْتَشَرَ هٰذا الخَبَرُ المُثيرُ بَيْنَ طُلّابِ المَدْرَسَةِ كُلِّها، وتَجَمَّعَ مُعْظَمُهُمْ خَلْفَ كَنيسَةِ المَدْرَسَةِ في السّاحَةِ الّتي تَجْري فيها المَعارِكُ.

طَلَبَ توم مِنْ صَديقِهِ إيسْت أَنْ يَكونَ مُناصِرَهُ الأَوَّلَ ومُساعِدَهُ، فَوَقَفَ وَراءَهُ فيما تَحَلَّقَ المُشاهِدونَ تارِكينَ، في الوَسَطِ، فُسْحَةً كَحَلَبَةٍ لِلقِتالِ تَواجَهَ فيها الخَصْمانِ العَنيدانِ.

كانَ وِلْيامْز يَكْبُرُ توم سِنًّا ويَفوقُهُ وَزْنًا، لٰكِنَّهُ كانَ بَدينًا ومُتَرَهِّلًا قَليلًا وبَدا جِسْمُهُ بَعيدًا عَنِ اللِّياقَةِ المَطْلوبَةِ في مِثْلِ تِلْكَ المَعارِكِ.

ما إنْ بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ حَتّى هَجَمَ توم عَلى خَصْمِهِ وحاوَلَ أَنْ يُسَدِّدَ لَهُ اللَّكَماتِ عَلى وَجْهِهِ، لٰكِنَّ يَدَيْ وِلْيامْز الطَّويلَتَيْنِ أَبْقَتا توم بَعيدًا. ثُمَّ وَقَعَ توم أَرْضًا إثْرَ تَلَقّيهِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً على ذَقَنِهِ.



تَمالَكَ توم نَفْسَهُ ووَقَفَ لِمُتابَعَةِ المُواجَهَةِ، وكانَ مَحْظوظًا إذِ انْتَهى وَقْتُ الجَوْلَةِ مِمّا أَتاحَ لَهُ المَجالَ لالْتِقاطِ أَنْفاسِهِ قَبْلَ بَدْءِ الجَوْلَةِ التّالِيَةِ.

قامَ إيسْت بِواجِبِهِ كَمُساعِدِ توم، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالنَّصيحَةِ التّالِيَةِ: «لا تَرْمِ بِنَفْسِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ يا توم. تَحَرَّكْ بِاسْتِمْرارٍ وبِسُرْعَةٍ.. راوِغْهُ.. اِضْرِبْهُ أَيْنَما اسْتَطَعْتَ إصابَةَ جِسْمِهِ. بِهَذِهِ الطَّريقَةِ سَتُنْهِكُهُ، فَتَتَمَكَّنُ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَيْهِ في النِّهايَةِ.»

عِنْدَما اسْتُؤْنِفَ القِتالُ في الجَوْلَةِ التّالِيَةِ عَمِلَ توم بِتِلْكَ النَّصيحَةِ، فَراحَ يَقْفِزُ ويَنِطُّ ويَبْتَعِدُ بِرَشاقَةٍ عَنْ ضَرَباتِ وِلْيامْز القَوِيَّةِ الغاشِمَةِ، وسَرْعانَ ما خارَتْ قُوى وِلْيامْز فَراحَ يَتَحَرَّكُ بِبُطْءٍ ويَلْهَثُ مُلْتَقِطًا أَنْفاسَهُ.

تَأَكَّدَ توم مِنْ حُسْنِ أَدائِهِ عِنْدَما سَمِعَ إيسْت يَقولُ لَهُ في الفَتْرَةِ الفاصِلَةِ بَيْنَ الجَوْلَتَيْنِ: «حَسَنًا فَعَلْتَ! إذا تابَعْتَ عَلى هَذا المِنْوالِ سَتَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ.»



خاضَ توم الجَوْلَةَ التّالِيَةَ بِعَزْمٍ أكيدٍ. ولَمّا رَأى الفُرْصَةَ سانِحَةً اقْتَرَبَ مِنْ خَصْمِهِ ورَماهُ أَرْضًا مُسْتَعْمِلًا الطَّرِيقَةَ إيّاها الّتي كانَ يُتْقِنُها مُنْذُ صِغَرِهِ. فَعَلَتْ أَصْواتُ الأَوْلادِ وزادَ حَماسُهُمْ.

لَمّا وَقَفَ وِلْيامْز عاجَلَهُ توم بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِها، ورَماهُ أَرْضًا لِلمَرَّةِ الثّانِيَةِ. وهُنا جاءَ الدُّكْتورُ أَرْنولْد مِنْ مَنْزِلِهِ، وكانَ قَدْ سَمِعَ أَصْواتَ الأَوْلادِ، فَأَوْقَفَ المَعْرَكَةَ.

لَمْلَمَ المُتَعارِكانِ ومُناصِروهُما سُتُراتِهِمْ وذَهَبوا إلى مَبْنى سكول هاوْس. وفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَعا بروك توم إلى مَكْتَبِهِ وهَنَّأَهُ عَلى بَسالَتِهِ في القِتالِ وانْدِفاعِهِ في سَبيلِ نُصْرَةِ صَديقِهِ، ثُمَّ دَعاهُ لِلعَشاءِ. وفي خِلالِ الحَديثِ قالَ لَهُ: «عَلَيْكَ يا براوْن أَنْ تَتَصالَحَ أَنْتَ ووِلْيامْز وتُنْهِيا النِّزاعَ بَيْنَكُما.»

وبِالفِعْلِ سَعَى توم إلى ذَلِكَ، فَتَصافَحَ الفَتَيانِ ولَمْ يَعودا إلى الشِّجارِ، وسادَ العَلاقَةَ بَيْنَهُما الاحْتِرامُ المُتَبادَلُ. لَكِنَّ تِلْكَ المَعْرَكَةَ دَخَلَتْ تاريخَ مَدْرَسَةِ رَغْبي، فَما إِنْ يَدورُ الحَديثُ عَنِ المَعارِكِ في المَدْرَسَةِ حَتّى تَجِدَ مَنْ يَقولُ: «آهِ لَوْ شاهَدْتُمْ تِلْكَ المَعْرَكَةَ الكُبْرى بَيْنَ وِلْيامْز الوَحْشِ وتوم براوْن. لَمْ تَجْرِ مَعْرَكَةٌ مِثْلُها حَتّى الآنَ!»

مَرَّتِ الأَيّامُ ومَضَى عَلى تِلْكَ المَعْرَكَةِ الشَّهيرَةِ سَنَتانِ حَدَثَتْ خِلالَهُما بَعْضُ التَّغَيُّراتِ، فَقَدْ غادَرَ مارْتن المَدْرَسَةَ، وصارَ آرْثر في الصَّفِّ السّادِسِ وتوم وإيسْت في الصَّفِّ الخامِسِ. كانَ هَذانِ الأَخيرانِ قَدْ أَصْبَحا فَتَيَيْنِ قَوِيَّيْنِ لَكِنَّهُما تَأَثَّرا بِتَصَرُّفاتِ آرْثر فَكانا لَطيفَيْنِ وهادِئَيْنِ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ آرْثر لَمْ يَكُنْ قَوِيَّ البِنْيَةِ فَقَدْ تَعَلَّمَ السِّباحَةَ والرَّكْضَ وأَتْقَنَ مُعْظَمَ الأَلْعابِ الرِّياضِيَّةِ.

في فَصْلِ الصَّيْفِ تَفَشَّى مَرَضٌ خَطيرٌ في المَدْرَسَةِ وأُصيبَ عَدَدٌ مِنَ التَّلاميذِ، فَاضْطُرَّ الدُّكْتورُ أَرْنولْد لِلسَّماحِ لأَهاليهِمْ بِأَخْذِهِمْ إلى بُيوتِهِمْ إِنْ أَرادوا ذَلِكَ.

ثُمَّ مَرِضَ آرْثر وساءَتْ حالَتُهُ، فَاسْتُدْعِيَتْ أُمُّهُ لِتَبْقَى إلى جانِبِهِ في المَدْرَسَةِ.



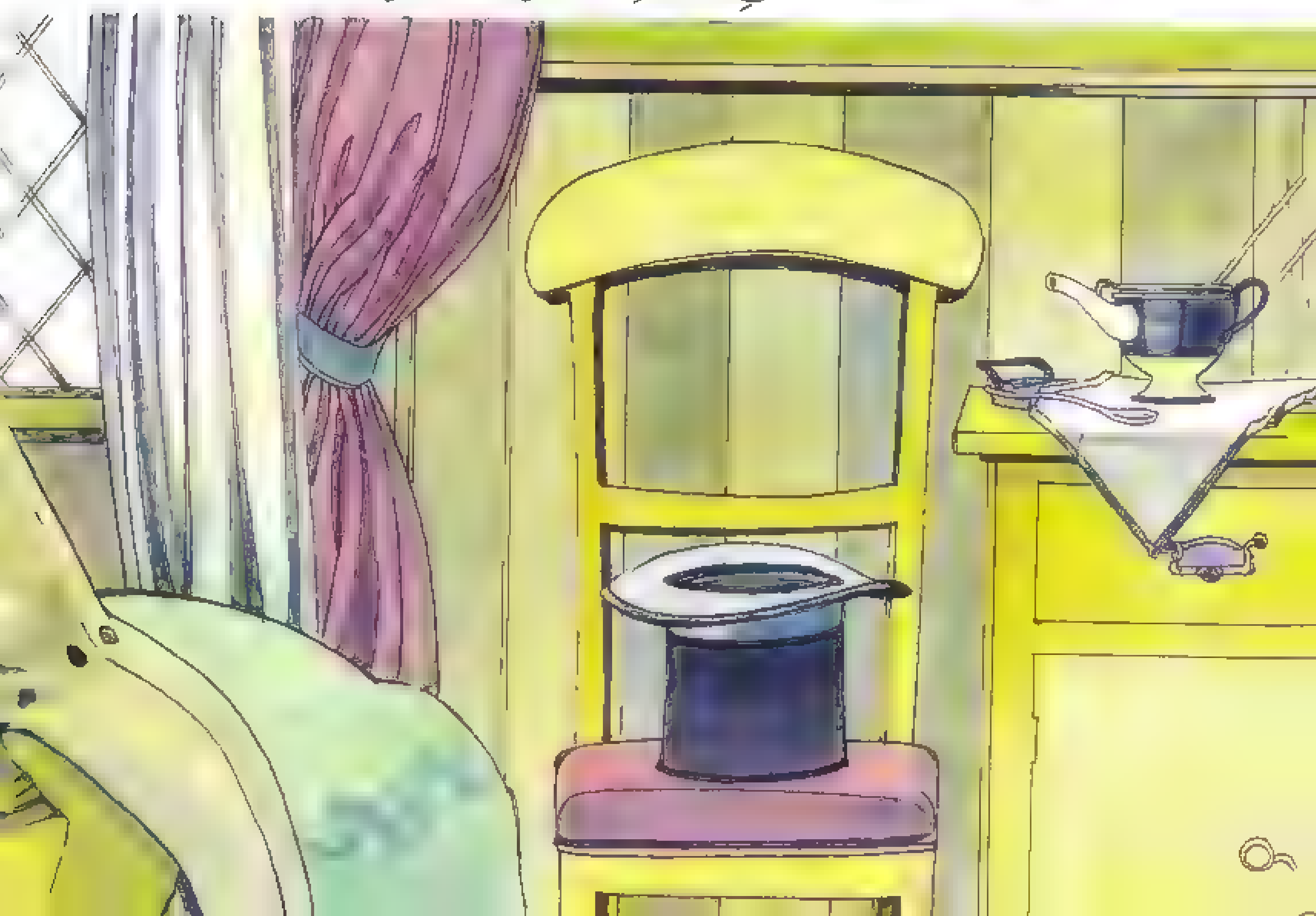
سَيْطَرَ الحُزْنُ والأَسى عَلى توم لَمّا رَأى وَضْعَ صَديقِهِ آرْثر إلى تَراجُع، وخَشِيَ أَنْ يُداهِمَ المَوْتُ ذَلِكَ الإنْسانَ الرَّقيقَ الضَّعيفَ. لَكِنَّ عِنايَةَ اللهِ أَمَدَّتْ آرْثر بِالقُوَّةِ فَتَحَمَّلَ المَرَضَ وتَخَطَّى مَرْحَلَةَ الخَطَرِ، ثُمَّ راحَتْ صِحَّتُهُ تَتَحَسَّنُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

لَمّا سُمِحَ لِتوم بِزِيارَةِ آرْثر طارَ قَلْبُهُ إلَيْهِ قَبْلَ قَدَمَيْهِ. جَلَسَ إلى جانِبِ سَريرِهِ وراحَ يَتَحَدَّثُ وإيّاهُ بِسُرورٍ وغِبْطَةٍ مُسْتَعيدَيْنِ ذِكْرَياتِ نُزُهاتِهِما ومُغامَراتِهِما في البَرِّيَّةِ وقِيامِهِما بِصَيْدِ السَّمَكِ ومُلاحَقَةِ الطُّيورِ وتَسَلُّقِ الأَشْجارِ، ووَعَدا نَفْسَيْهِما بِاسْتِئْنافِ تِلْكَ النَّشاطاتِ في القَريبِ العاجِلِ بَعْدَ شِفاءِ آرْثر التّامِّ.

ثُمَّ قال آرْثر لِتوم: «أُريدُ أَنْ أَبْحَثَ مَعَكَ أَمْرًا هامًّا، ولَكِنْ عِدْني بِأَلّا تَغْضَبَ.»

- أَعِدُكَ بِذَلِكَ.

- أَتَمَنّى لَوْ تَعْتَمِدُ عَلى نَفْسِكَ وتُقْلِعُ عَنْ عادَةِ اسْتِعْمالِ «قُصاصاتِ الغِشِّ» المُهَيَّأَةِ سَلَفًا لِتَرْجَمَةِ مَقاطِعِ الأَدَبَيْنِ اللّاتينِيِّ واليونانِيِّ.

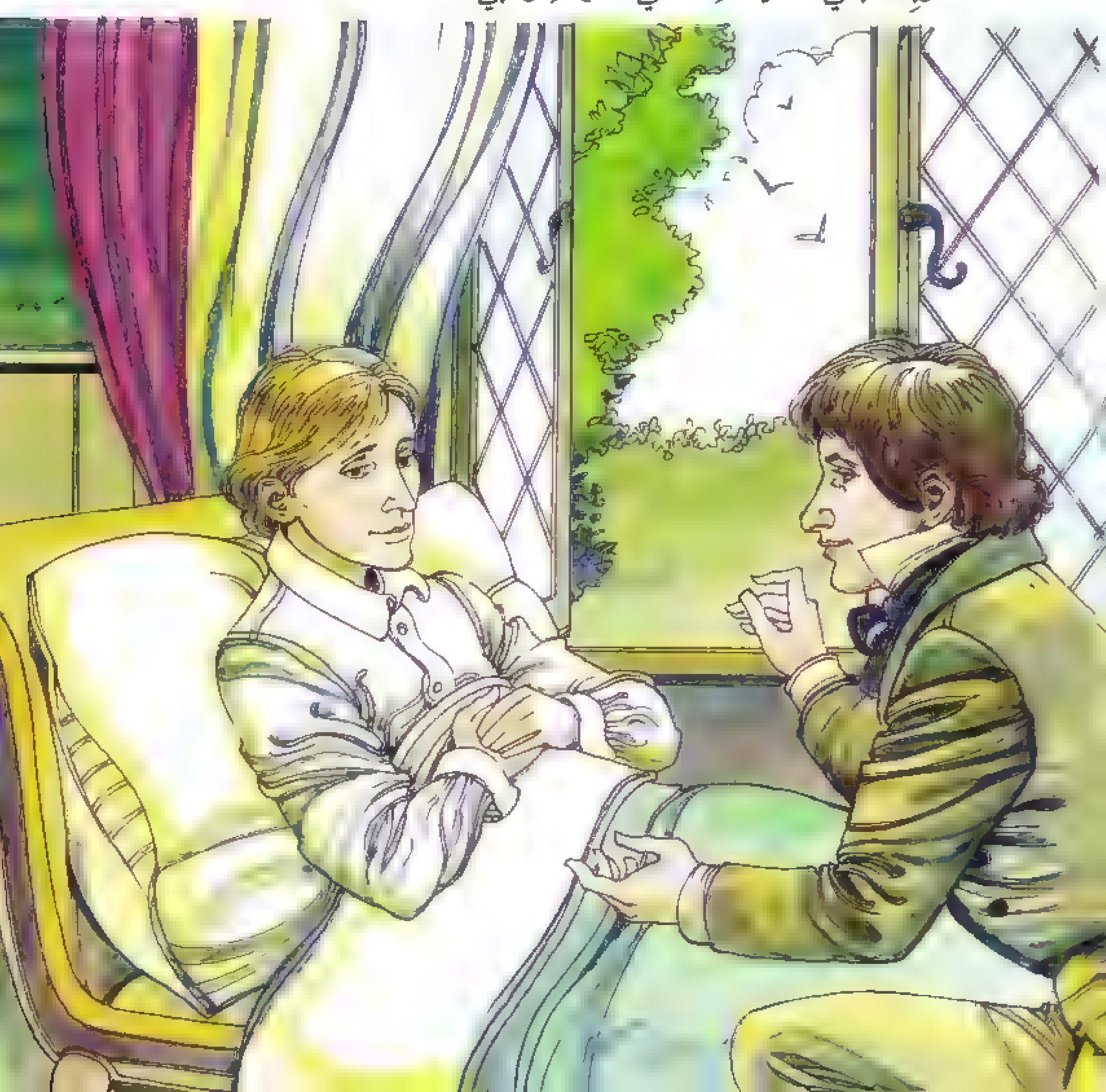


– ولِماذا تُثيرُ هَذا الأَمْرَ الآنَ؟

– لا تَتَهَرَّبْ مِنَ المَوْضوعِ! أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ القُصاصاتِ سِلاحٌ ذو حَدَّيْنِ، وأَنَّ ضَرَرَها أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِها.

– وماذا يَضيرُنا لَوِ اعْتَمَدْنا عَلَيْها؟

– أَقولُ لَكَ بِكُلِّ صَراحَةٍ: إِنَّ اسْتِعْمالَها غِشٌّ وخِداعٌ. وإِذا عُدْتَ إلى نَفْسِكَ وَجَدْتَ أَنّي مُصيبٌ فيما أَقولُ. فَهَلْ تُريدُ أَنْ تَنْجَحَ بِالحيلَةِ؟ فَكِّرْ بِمُسْتَقْبَلِكَ وبِما تَبْغي تَحْقيقَهُ فِعْلًا في مَدْرَسَةِ رَغْبي.





أَطْرَقَ توم قَليلًا، ثُمَّ قالَ: «ما أُريدُهُ فِعْلًا هُوَ أَنْ أَكونَ جَيِّدًا في الكريكِت وكُرَةِ القَدَمِ، وأَنْ أُدافِعَ عَنْ حُقوقي حَتّى في وَجْهِ الكِبارِ. وأَتَمَنّى أَنْ أَنْتَقِلَ إِلى الصَّفِّ السّادِسِ وأَنْجَحَ في الأَدَبِ اللّاتينِيِّ والأَدَبِ اليُونانِيِّ لأَتَمَكَّنَ مِنَ الالْتِحاقِ بِجامِعَةِ أوكسْفورْد.»

أَجابَ آرْثر: «أَنا واثِقٌ مِنْ أَنَّكَ سَتُحَقِّقُ كُلَّ ذَلِكَ. هَلْ هُناكَ شَيْءٌ آخَرُ تَتَمَنّاهُ؟» فَتَنَهَّدَ توم وهُوَ يَقولُ: «أَوَدُّ، عِنْدَما أُغادِرُ مَدْرَسَةَ رَغْبي، أَنْ أَتْرُكَ سُمْعَةً حَسَنَةً وأَنْ يَتَذَكَّرَني الجَميعُ كَشابٍّ طَيِّبٍ صادِقٍ لَمْ يَظْلِمْ وَلَدًا أَصغَرَ مِنْهُ ولَمْ يَخْضَعْ لِظُلْمِ وَلَدٍ مُتَسَلِّطٍ حَتّى ولَوْ كانَ أَكْبَرَ مِنْهُ.»

أَرْدَفَ آرْثر: «أَعْتَقِدُ أَنَّكَ أَيضًا مُصَمِّمٌ عَلى إِرضاءِ الدُّكْتورِ آرْنولْد وعَدَمِ مُخالَفَةِ آرائِهِ ونَظْرَتِهِ إِلى ما هُوَ حَقٌّ. هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ مَبادِئَهُ تَقْبَلُ اللُّجوءَ إِلى الغِشِّ؟



عَلَيْنا - يا صَديقي - أَنْ نَعْتَمِدَ عَلى أَنْفُسِنا ونَدْرُسَ بِكُلِّ جِدٍّ وأَمانَةٍ.»

بَدا توم مَهْمومًا وهُوَ يَقولُ: «حَسَنًا، سَأُفَكِّرُ في الأَمْرِ خِلالَ العُطْلَةِ، وأَعْتَقِدُ أَنّي أَميلُ إِلى رَأْيِكَ وإِلى مَواقِفِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد.»

بَعْدَ لَحَظاتٍ دَخَلَتْ والِدَةُ آرْثر الغُرْفَةَ. لَمْ يَكُنْ توم قَدْ قابَلَها مِنْ قَبْلُ، وقَدْ لَفَتَتْهُ بِلُطْفِها ورِقَّتِها، حَتّى إِنَّهُ لَمّا قابَلَها فَهِمَ مِنْ أَيْنَ أَتى آرْثر بِكُلِّ هَذِهِ الطِّيبَةِ وكُلِّ ذَلِكَ النُّبْلِ.

بادَرَتْهُ بِتَحِيَّةٍ وُدِّيَّةٍ وهِيَ تُصافِحُهُ: «إِذًا أَنْتَ توم براوْن! لَقَدْ أَخْبَرَني آرْثر عَنِ الصَّداقَةِ المَتينَةِ القائِمَةِ بَيْنَكُما. وأَنا أَعْلَمُ مَدى تَضْحِيَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ ومَحَبَّتِكَ لَهُ. ولَوْلا وُجودُكَ لَما كانَ قَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يُدَبِّرَ أُمورَهُ في مَدْرَسَةِ رَغْبي. إِنَّ لِساني عاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ يا توم!»

بَعْدَ قَليلٍ وَدَّعَهُما توم وذَهَبَ إلى غُرْفَتِهِ لِيَتَفَقَّدَ بَعْضَ كُتُبِهِ، فَرَأى قَصَبَةَ صَيْدٍ جَديدَةً رائِعَةً عَلى الطّاوِلَةِ وقُرْبَها وَرَقَةٌ كُتِبَ عَلَيْها: «إلى الأَخِ المُخْلِصِ توم براوْن، اعْتِرافًا بِفَضْلِهِ. التَّوْقيعُ: الصَّديقانِ الدّائِمانِ جورْج آرْثر ووالِدَتُهُ جين.»



كانَ توم مُصَمِّمًا على الكَفِّ عَنِ اسْتِعْمالِ القُصاصاتِ المُحَضَّرَةِ سَلَفًا لِتَرْجَمَةِ نُصوصِ الآدابِ الكلاسيكِيَّةِ، لأَنَّهُ في قُرارَةِ نَفْسِهِ مُوقِنٌ أَنَّ الاعْتِمادَ عَلَيْها يُخالِفُ المَبادِئَ الّتي يُنادي بِها الدُّكْتورُ أَرْنولْد، فَراحَ هُوَ وإيسْت يُناقِشانِ المَوْضوعَ مَعَ بَعْضِ رِفاقِ صَفِّهِما. في بادِئِ الأَمْرِ اعْتَبَرَ هَؤُلاءِ الرِّفاقُ أَنَّ توم يَهْذي، لَكِنَّهُ واصَلَ التَّصَدِّيَ لَهُمْ حَتّى أَقْنَعَهُمْ بِوُجْهَةِ نَظَرِهِ، واتَّفَقوا جَميعًا عَلى أَنْ يَعْتَمِدوا عَلى أَنْفُسِهِمْ ويُحاوِلوا القِيامَ بِتَرْجَمَةِ النُّصوصِ الأَدَبِيَّةِ المَطْلوبَةِ وأَلّا يَلْجَؤوا إلى القُصاصاتِ الجاهِزَةِ إلّا لِلاسْتِئْناسِ بِها في حالاتِ الضَّرورَةِ القُصْوى.

في اليَوْمِ التّالي ذَهَبَ آرْثر مَعَ والِدَتِهِ لِقَضاءِ فَتْرَةٍ مِنَ النَّقاهَةِ في مَنْزِلِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعيدَ عافِيَتَهُ تَمامًا لاسْتِئْنافِ دِراسَتِهِ. كانَ توم وإيسْت في وَداعِهِما أَمامَ بَوّابَةِ المَدْرَسَةِ، وفيما كانا يُراقِبانِ العَرَبَةَ المُبْتَعِدَةَ قال إيسْت: «صَديقُكَ الصَّغيرُ آرْثر إنْسانٌ مُدْهِشٌ. إنَّهُ خَجولٌ جِدًّا ومُنْطَوٍ عَلى نَفْسِهِ ويَعْتَبِرُ نَفْسَهُ طِفْلًا غَيْرَ ذي شَأْنٍ. ولَكِنَّ الحَقيقَةَ هِيَ أَنَّهُ يَجْعَلُنا نَقومُ بِكُلِّ ما يُريدُهُ!»

تَوالَتِ السَّنَواتُ وأَصْبَحَ توم في التّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وكانَ هُوَ وآرْثر في عِدادِ طُلّابِ الصَّفِّ السّادِسِ زُعَماءِ المَدْرَسَةِ. كانا دائِمًا يَتَذَكَّرانِ السَّنَواتِ السّابِقَةَ في المَدْرَسَةِ ويَسْتَرْجِعانِ ذِكْرَياتِ مُغامَراتِهِما الشَّقِيَّةِ ومُناقَشاتِهِما حَوْلَ تَرْجَمَةِ النُّصوصِ الأَدَبِيَّةِ. لَقَدْ أَصْبَحَ توم الآنَ مُتَمَكِّنًا في الأَدَبَيْنِ اللّاتينِيِّ واليُونانِيِّ وقادِرًا عَلى أَنْ يُتَرْجِمَ بِنَفْسِهِ أَيَّ نَصٍّ مِنْهُما. وكانا، في أَحاديثِهِما، يَأْتِيانِ عَلى ذِكْرِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد ومَبادِئِهِ السّامِيَةِ والتَّحْسيناتِ الرّائِعَةِ الّتي أَدْخَلَها عَلى المَدْرَسَةِ. والحَقيقَةُ أَنَّهُما كانا يُقِرّانِ بِعَظَمَةِ هَذا الرَّجُلِ وفَضْلِهِ عَلَيْهِما إذْ ساعَدَ كُلًّا مِنْهُما عَلى بِناءِ شَخْصِيَّتِهِ وتَنْمِيَةِ مَواهِبِهِ وجَعْلِهِ قُدْوَةً لِباقي الطُّلّابِ. ولَمْ يَنْسَيا ذِكْرَ صَديقِهِما الوَفِيِّ إيسْت الّذي تَخَرَّجَ في المَدْرَسَةِ وانْخَرَطَ في الجَيْشِ لِخِدْمَةِ وَطَنِهِ، فَأَحْدَثَ ابْتِعادُهُ فَراغًا كَبيرًا يَصْعُبُ مَلْؤُهُ.

كانَ توم قَدْ أَصْبَحَ رَئيسَ فَريقِ الطُّلّابِ أَيِ «الكابْتِن براوْن»، واقْتَرَبَ مَوْعِدُ تَخَرُّجِهِ في المَدْرَسَةِ لِلذَّهابِ إلى جامِعَةِ أوكسْفورْد.

كانَ يَوْمًا يَتَحَدَّثُ مَعَ أَحَدِ أَساتِذَتِهِ، فَذَكَّرَهُ الأُسْتاذُ بِآرْثر وتَأْثيرِ صَداقَتِهِ عَلى شَخْصِيَّةِ توم وتَصَرُّفاتِهِ، ثُمَّ أَضافَ: «كانَ لِحِكْمَةِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد ونَظْرَتِهِ الثّاقِبَةِ الفَضْلُ الأَكْبَرُ في هَذا التَّحَوُّلِ، وبِالرَّغْمِ مِنَ المَآزِقِ الّتي كُنْتَ تَضَعُ نَفْسَكَ فيها فَقَدْ لاحَظَ أَنَّكَ - في الأَعْماقِ - إِنْسانٌ طَيِّبٌ وقَديرٌ، فَطَلَعَ بِفِكْرَةِ تَحْميلِكَ مَسْؤولِيَّةَ رِعايَةِ آرْثر. كانَ يُراقِبُ، باهْتِمامٍ وشَغَفٍ، تَطَوُّرَ الصَّداقَةِ بَيْنَكُما وقَدِ ارْتاحَ لأَثَرِها الطَّيِّبِ. إِنَّ عَظَمَةَ هَذا المُرَبّي الفَذِّ تَكْمُنُ في أَنَّهُ يَسْهَرُ عَلى مَصْلَحَةِ كُلِّ طالِبٍ، ويَسْعَى لِمُساعَدَتِهِ في بِناءِ شَخْصِيَّتِهِ وإِمْدادِهِ بِالعُدَّةِ اللّازِمَةِ لِمُواجَهَةِ أَعْباءِ الحَياةِ.»

والواقِعُ أَنَّ السَّنَواتِ الثَّمانِيَ الّتي قَضاها توم تَحْتَ جَناحَيِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد أَتَتْ ثِمارَها وأَصْبَحَ بِاسْتِطاعَةِ توم الآنَ - وهُوَ يَسْتَعيدُ بِخاطِرِهِ هَذِهِ السَّنَواتِ - أَنْ يَلْمُسَ أَنَّ ما جَناهُ مِنْ رِعايَةِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد هُوَ زادُهُ الأَكْبَرُ في هَذِهِ الحَياةِ، فَصارَ يُجِلُّهُ ويُقَدِّرُهُ إلى أَقْصى الحُدودِ، وقَدْ رَسَخَتْ مَبادِئُ الرَّجُلِ في نَفْسِ توم وتَغَلْغَلَتْ في أَعْماقِهِ حَتّى صارَتْ مَصْدَرَ وَحْيٍ دائِمٍ لَهُ.

بَعْدَ أَيّامٍ كانَ توم في القِطارِ المُغادِرِ إلى لَنْدن. لَقَدِ انْتَهى الفَصْلُ الدِّراسِيُّ الأَخيرُ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ الدِّراسِيَّةِ، فَتَخَرَّجَ توم في المَدْرَسَةِ ووَقَفَ عَلى عَتَبَةِ الحَياةِ العَريضَةِ تَخْتَلِجُ في نَفْسِهِ الآمالُ الكِبارُ وتَحْدوهُ ثِقَةٌ بِالنَّفْسِ كَبيرَةٌ لِيَقْتَحِمَ المَصاعِبَ ويَتَحَدّى المَخاطِرَ مُسْتَنِدًا إلى أَساسٍ عِلْمِيٍّ مَتينٍ ومَبادِئَ أَخْلاقِيَّةٍ سامِيَةٍ خَرَجَ بِها مِنْ مَدْرَسَةِ رَغْبي العَظيمَةِ بِقِيادَةِ الرَّجُلِ العَظيمِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد.

في العامِ ١٨٤٢ كان توم يُمْضي العُطْلَةَ الصَّيْفِيَّةَ في إِسْكتلَنْدا مُتَمَتِّعًا - مُعْظَمَ وَقْتِهِ - بِصَيْدِ السَّمَكِ. وقَدْ لَفَتَ أَحَدُ الأَصْدِقاءِ نَظَرَهُ إلى خَبَرٍ مُؤْسِفٍ في الجَريدَةِ، إِذْ أُعْلِنَ عَنْ وَفاةِ الدُّكْتورِ أَرْنولْد.

وَقَعَ هَذا الخَبَرُ عَلى توم وَقْعَ الصّاعِقَةِ وأَحَسَّ أَنَّ رُكْنًا كَبيرًا مِنْ أَرْكانِ حَياتِهِ قَدْ تَهَدَّمَ. لَكِنَّهُ تَمالَكَ نَفْسَهُ وقَطَعَ إجازَتَهُ وسافَرَ في أَوَّلِ قِطارٍ مُتَوَجِّهٍ إلى رَغْبي.

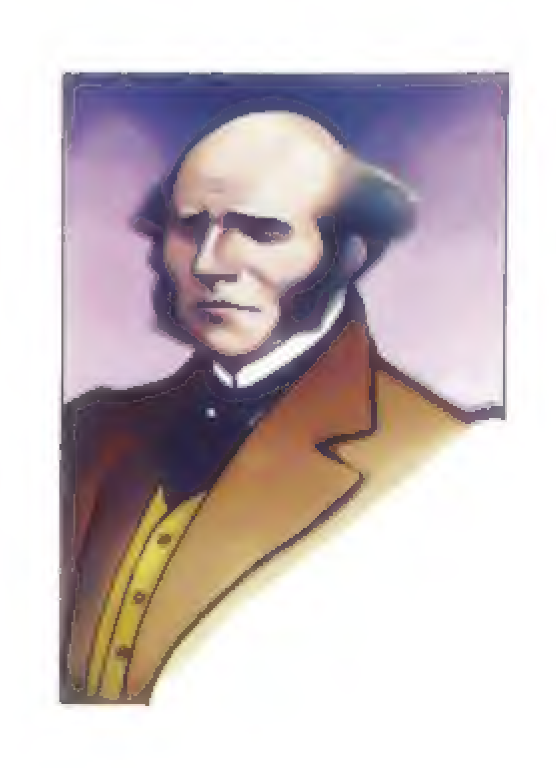


في رَغْبي وَقَفَ توم حَزينًا أَمامَ بَوّابَةِ المَدْرَسَةِ، وكانَتْ فارِغَةً ساكِنَةً كَأَنَّها مَهْجورَةٌ. ثُمَّ ظَهَرَ البَوّابُ العَجوزُ توماس، وحَيّا توم بِحُزْنٍ بالِغٍ. سَأَلَهُ توم: «أَيْنَ دُفِنَ؟» فَأَجابَ توماس بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ: «تَحْتَ مَذْبَحِ الكَنيسَةِ.»

مَشَى توم مِنَ البَوّابَةِ حَتّى كَنيسَةِ المَدْرَسَةِ ومَشَتْ مَعَهُ ذِكْرَياتُ السَّنَواتِ الثَّماني الّتي قَضاها في تِلْكَ الأَرْجاءِ. لَمّا دَخَلَ الكَنيسَةَ جالَتْ عَيْناهُ على كُلِّ شَبْرٍ مِنْها، ثُمَّ رَكَّزَ نَظَرَهُ مُطَوَّلًا عَلى المِنْبَرِ حَيْثُ كانَ الرَّجُلُ الكَبيرُ يَقِفُ مُخاطِبًا الطُّلّابَ بِصَوْتِهِ المَهيبِ وكَلامِهِ الجَليلِ. دَخَلَتْ أَشِعَّةُ شَمْسِ المَغيبِ مِنْ زُجاجِ النَّوافِذِ المُلَوَّنِ وغَمَرَ نُورُها الباهِتُ المَكانَ فَبَدا كُلُّ شَيْءٍ هادِئًا مُطْمَئِنًّا.

تَقَدَّمَ توم إلى الأَمامِ ورَكَعَ أَمامَ قَبْرِ بَطَلِ حَياتِهِ ومُعَلِّمِهِ الأَكْبَرِ، وأَخَذَ يُصَلّي ويَدْعو اللهَ إلى أَنْ يَشْمُلَ بِرَحْمَتِهِ الواسِعَةِ رُوحَ ذَلِكَ الإِنْسانِ الكَبيرِ الّذي طَبَعَ حَياتَهُ بِطابَعٍ لا يُمْحَى.





توماس هيُوز ١٨٢٢-١٨٩٦

وُلِدَ توماس هيُوز في أفِنجْتون بِوادي «وايْت هورْس» في أواسِطِ إنجلْترا، وكانَ والِدُهُ مِنْ كِبارِ أَصْحابِ الأَراضي في المِنْطَقَةِ.

تَلَقّى هيُوز (كَبَطَلِ قِصَّتِهِ توم براوْن) تَعْليمَهُ في مَدْرَسَةِ «رَغْبي» الشَّهيرَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إلى جامِعَةِ أوكسْفورْد. دَرَسَ القانونَ ومارَسَ مِهْنَةَ المُحاماةِ ولَمَعَ فيها فَأَصْبَحَ قاضِيًا ومُسْتَشارًا قانونِيًّا لِلمَلِكَةِ.

نُشِرَتْ رِوايَةُ «توم براوْن في المَدْرَسَةِ» [Tom Brown's Schooldays] عامَ ١٨٥٧ واكْتَسَبَتْ أَهَمِّيَّةً كُبْرى لأَنَّها تُصَوِّرُ أَصْدَقَ تَصْويرٍ مَدْرَسَةَ رَغْبي تَحْتَ إدارَةِ الدُّكْتورِ توماس أرْنولْد بَيْنَ

العامَيْنِ ١٨٢٨و ١٨٤٢، وقَدْ لاقَتْ نَجاحًا باهِرًا إذْ إنَّها طُبِعَتْ حَتى الآنَ أكْثَرَ مِنْ خَمْسينَ طَبْعَةً.

أَلَّفَ هيُوز بَعْدَ ذَلِكَ رِوايَةَ «توم براوْن في أوكسْفورْد» [Tom Brown at Oxford]، لَكِنَّها لَمْ تَلْقَ نَجاحًا كَسابِقَتِها. ثُمَّ كَتَبَ بَعْضَ السِّيَرِ، مِنْها سِيرَةُ «أَلْفْريد الكَبير» وسِيرَةُ «ماكْميلان» النّاشِرِ الشَّهيرِ.

كانَ هيُوز مُلْتَزِمًا بِمَبادِئِهِ ثابِتًا في آرائِهِ، وقَدْ نَشَدَ المُثُلَ العُلْيا ودَعا إلى الإيمانِ القَويمِ ومُناصَرَةِ الحَقِّ بِلا هَوادَةٍ والسَّعْيِ إلى تَحْقيقِ العَدالَةِ والخَيْرِ لِلجَميعِ.

وَصَلَ تَمَسُّكُهُ بِهَذِهِ المَبادِئِ إلى دَرَجَةٍ أَشْبَهَ بِالمِثالِيَّةِ الحالِمَةِ. فَهاجَرَ، في العامِ ١٨٧٩، إلى الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكِيَّةِ حامِلًا أَفْكارَهُ وآمالَهُ، وأَسَّسَ، في تنسِي، تَجَمُّعًا تَعاوُنِيًّا هَدَفُهُ تَطْبيقُ هَذِهِ المَبادِئِ وتَحْقيقُها. لَكِنَّ هَذا المَشْروعَ فَشِلَ في تَحْقيقِ ما طَمَحَ إِلَيْهِ صاحِبُهُ وكَلَّفَهُ ثَرْوَةً طائِلَةً.

تُوُفِّيَ توماس هيُوز في العامِ ١٨٩٦.



كتب الفراشة - القصص العالمية

١ - الدُّكتور جيكل ومِستر هايْد
٢ - أوليڤَر تويسْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْڤيل
٨ - قِصَّة مَدينَتين
٩ - مونْفْليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير
١٣- حَولَ العالَم في ثمانينَ يَومًا
١٤- رِحْلَة إلى قَلْب الأرض
١٥- كُنوز الملِك سُلَيْمان
١٦- سايْلس مارْنَر
١٧- شيْرلي
١٨- رِحلات جاليڤَر
١٩- بعيدًا عن صَخب النّاس
٢٠- مُغامَرات هاكلبري فين
٢١- ديڤيد كوبرفيلد
٢٢- البيت المُوحِش (بليك هاوْس)
٢٣- المهر الأسود (بلاك بيُوتي)
٢٤- جين إير
٢٥- روبنسون كروزو
٢٦- جزيرة الكنز
٢٧- مرتفعات وَذَرِنْغ
٢٨- الأمير والفقير
٢٩- توم براون في المدرسة

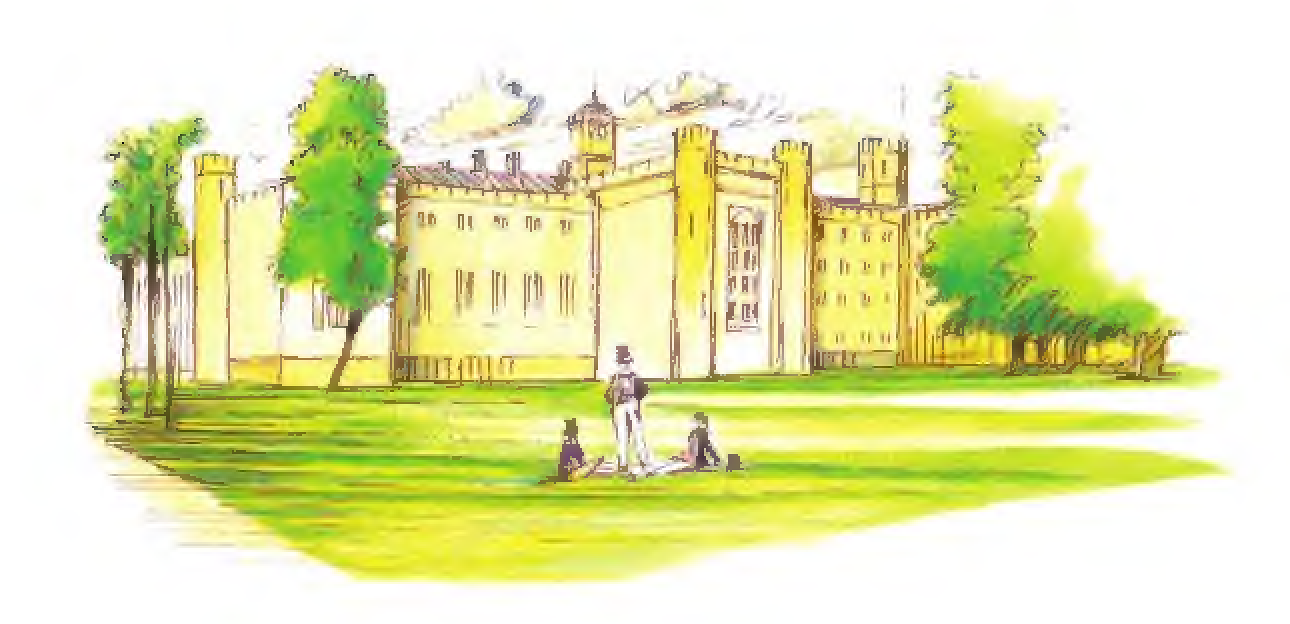


كتب الفراشة

القصص العالميّة ٢٩. توم براوْن في المدْرَسة

في سِيرة توم براوْن الشَّيْءُ الكَثير مِن سِيرة **توماس هيُوز** نَفْسِهِ، لِذَلِكَ جاءَت الرِّواية مُقْنِعَةً بِواقِعِيَّتِها نابِضَةً بِحَيَوِيَّتِها شَيِّقَةً بِأَحْداثِها الطَّرِيفة.

لَيْسَت **«توم براوْن في المَدْرَسَة»** مهْرجانًا من الطَّرائِف والمُغامَرات والأَعْمال الشَّقِيَّة الطّائِشَة، ولا هي مَزيج مِن الانْتِصارات والانْكِسارات والمَواقِف الجَريئَة فَحَسْبُ، بَلْ هي- في العُمْقِ - دَعْوَةٌ لِلتَّمَسُّك بالمُثُل والمَبادِئ السّامية الّتي تَبْقى بَعْدَ أَن يَهْدَأَ غُبارُ المَعارِك الصَّغيرة.



مكتبة لبنان ناشرون

